

# الفصل الأول

## الشهادة والشهيد في شعر صدر الإسلام

المبحث الأول : بواعث الشهادة

المبحث الثاني : صفات الشهيد



## المبحث الأول بواعث الشهادة

لقد تبين لنا مما تقدم عظيم منزلة الشهادة في سبيل الله تعالى التي بينها المولى ﷺ في كتابه العظيم من خلال الآيات الكريمة الكثيرة التي فصلت هذه المنزلة وعظيم أجرها عند الله تعالى ، كما زادت أحاديث المصطفى ﷺ من عظيم هذه المنزلة ورغبت المجاهدين في الظفر بها ، وهذه المنزلة السامية والدرجة الرفيعة لن يصل إليهما المسلم إلا عندما يبذل روحه سخياً في سبيل الدفاع عن العقيدة التي آمن بأن التزامها سوف يوصله إلى الفوز برضوان الله تعالى<sup>(١)</sup>، وهذا المبحث هو مخصص لبيان البواعث التي حملت المسلمين على حبهم للشهادة والسعي للفوز بها ، وسوف يتبين لنا ذلك من خلال الأشعار التي قالها المجاهدون أنفسهم أو التي قيلت في حقهم على أن الأشعار التي قالوها كانت أكثر بكثير من تلك التي قيلت فيهم ، كما أن البحث يوضح مسألة مهمة هي أن ليس جميع الذين خرجوا حبا للشهادة والحرص عليها قد فازوا بها لأن قسماً قليلاً منهم لم يُفَز أصحابها ، أما القسم الأكبر منهم فقد نال شرفها وإنما ذكر البحث النماذج التي لم يُفَز بها بالشهادة لأن هذا المبحث يختص بدراسة الشهادة والبواعث التي حملت الرجال على السعي في طلبها والفوز بها ، فمرتبة الشهادة مرتبة عظيمة وحبها والحرص عليها والتغني بها من حق كل مسلم ، فكان هذا كله دافعا لكي يحرص البحث على ذكر النماذج التي تُبَيِّن هذا الحرص وهذا الحب سواء فاز بها مُحِبُّها أم لا ، والأشعار القادمة سوف تبين ذلك أكثر .

(١) يُنظر: كيف السبيل إلى الله ، الجهاد والاستشهاد في الإسلام: ٦٠/١٦ .

## ١. رسوخ العقيدة الإسلامية:

شهدت البشرية منذ القدم حروباً طاحنة مستمرة بين دولة وأخرى ، وشعب وآخر ، وجماعة وأخرى ، وكانت أغلب هذه الحروب طمعاً في أرض . ورغبة في توسيع النفوذ والسيطرة على الآخرين <sup>(١)</sup> . فالعرب مثلاً قبل الإسلام كانت بينهم أيام كثيرة جداً ، فبعضها كان استجابة للعصبية القبلية والحمية الجاهلية ، أو طلباً للثأر ، أو تنازلاً في طلب مساقط الغيث وموارد الرزق ، أو الإعتداء والظلم <sup>(٢)</sup> . أو كانت بسبب فرسٍ كالذي حدث في حرب داحس والغبراء <sup>(٣)</sup> ، أو بسبب ناقةٍ مثل ما حدث في حرب البسوس <sup>(٤)</sup> ، أو كانت المرأة سبباً لإشعالها <sup>(٥)</sup> .

فكما نرى فإن أسباب القتال ودوافعه متعددة ومُتَشَعِّبة لا يحكمها نظام والسبب في ذلك ، (أنه ما كانت لهم عقيدة لها شريعة أو نظام يحدُّ أفرادهم ويجمع قلوبهم ويحكم أسرهم وأفخاذهم وقبائلهم ، بل كانوا في غالبيتهم وثنيين تحكمهم العادات والتقاليد والأعراف) <sup>(٦)</sup> ، وما زال الأمر على حاله هذه حتى أشرقت الأرض بنور الإسلام ، إذ بعث الله تعالى رسوله الكريم محمداً ﷺ وهياً له صحابته الكرام لنشر رسالة الإسلام ، الذي ( أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان وهداية الحق ، ورسم لهم طريق الفضيلة والخير وجعل المؤمنين أخوة متحابين لا تفقد نفوسهم الضعيفة والحق ، ولا تطمس بصيرتهم عوامل الصراع والكراهية والإثارة ، وأبدل حياة العرب الاجتماعية فأبطل الشرك والوثنية ونادى بالتوحيد ، وأبطل أكثر المعتقدات والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية كالاعتقاد بالكهان والعرافين ، وحرّم الخمر والميسر والاستقسام بالأزلام

(١) يُنظر: الشهيد في الإسلام: ٣١ .

(٢) يُنظر: أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي: ٥٢ ، د. صدر الحوري .

(٣) يُنظر: أمثال العرب: ٨١ - ١٠٩ للمفضل الصبي ، وفتاوى حرير والمرردق: ٨٣/١ - ١١٣ ، والعقد الفريد: ٩٣/٥ - ٩٥ لاس عبد ربه الأندلسي ، والأغصان: ١٦٧/١٧ - ١٩٧ لآي فرج الأصمهاوي ، وأسالي المرتضى: ٢٠٨/١ - ٢١١ ، والشعر في حرب داحس والغبراء: ٩١ د. عادل جاسم البياتي .

(٤) يُنظر: العقد الفريد: ٧١/٣ .

(٥) يُنظر: المرأة في الشعر الجاهلي: ٦٧ د. علي الهاشمي .

(٦) الشهيد في الإسلام: ٣٢ .

والمعاملة بالربا ، ووأد البنات خوف العار أو الفقر ، والأخذ بالثأر ، وحرمان المرأة من الميراث ، وفي كل ذلك كان الإسلام يرمي إلى إسعاد الفرد والأسرة في نطاق المجتمع المحلي ( <sup>١</sup> ) ، لكن هذه الدعوة وهذه الرسالة لم تخدم مشركي قريش الذين رأوا في هذه الدعوة زوال نفوذهم وبُطلان آلهتهم ، فأصروا على اعتقادهم ووجدوا الإسلام وأنكروه وكذبوا الرسول ﷺ وأذوه وأصحابه الكرام ، وأعلنوا الحرب عليهم ، لكنهم ما علموا أنهم يُحاربون رجالاً أنشأهم الإسلام نشأة جديدة أحالتهم خلقاً آخر ، حينما اقتحم الإيمان مناطق اعتقادهم وألقى فيها بذور التوحيد والاخوة والتوحد ، فتحررت بذلك نفوسهم من قيود الوهم وتطهرت قلوبهم من رجس الوثنية ، ف شعر كل واحد منهم بأنه لا حجاب بينه وبين الله ما دام يسعى لطاعته وبيئغى مرضاته ( <sup>٢</sup> ) ، فلم تتهم حرب قريش وأذاها لهم عن دعوتهم إلى الدين الجديد الذي ملأ عليهم حياتهم وجدد فيهم التضحية في سبيل الله تعالى ( <sup>٣</sup> ) ، فكان حبههم للشهادة يُنسيهم الألم والأذى الذي لاقوه من مشركي قريش ، وحب الشهادة ليس كلاماً يُقال بل لا بُدَّ من برهان ، لا بُدَّ من عمل يُبرهن ويُثبِت هذا الحب ، ولن يُثبِتَ هذا الحب ما لم يستند إلى عقيدة راسخة ، فهذا بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ كان عبداً من عبيد قريش فدخل نور الإيمان قلبه ، فما كان من أمية بن خلف بن وهب إلا أن أخرجته إلى الصحراء في وقت الظهيرة ، فطرحة على ظهره في بطحاء مكة ثم أمر بصخرة عظيمة فوضعت على صدره ، فقال له: لا ترال هكذا حتى تكفر بمحمد وتعيد الآلات والعزى أو تموت ( <sup>٤</sup> ) ، وحاشاه أن يرتد عن دينه وقد ترسخت عقيدة الإسلام في قلبه ، فعلم أن الموت في سبيل الله تعالى يعني فوزه بالشهادة ، وهي (أسمى غاية يسعى إليها المسلم ) ( <sup>٥</sup> ) ، فثبَّت على دينه وهو يُردد كلمات التوحيد ، فيذا

(١) دراسات في أدب وخصرر العصر الإسلامي. ١١ ، د. محمد عبد القادر احمد .

(٢) يُنظر: شعر الفترح الإسلامية في صدر الإسلام: ٣٢ ، العمان عبد المتعال القاضي .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري: ٩ ، د. توري حمودي القيسي .

(٤) يُنظر: السيرة النبوية: ٣٤٠/١ .

(٥) الأدب في عصر النبوة والراشدين: ٢٦١ ، د. صلاح الدين اهادي .

عمر بن ياسر يُنزج لنا تلك الحالة - حالة الاختيار - التي كان عليها بلال وأصحاب وهم يعذبون ، فقال (١) :

جَزَى اللهُ خيراً عن بلالٍ وصَحبه عَتِيقاً وأخزى فَاكِهاً وأبَا جَهْلٍ  
عَشِيَّةَ هُمُوا فِي بِلَالٍ بِسُوءَةٍ ولم يَحذروا ما كان يَحذرُ المرءُ ذُو العَقْلِ  
بِتَوْجِيده رَبَّ الأَنَامِ وَقولِهِ شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهُ رَبِّي عَلَى مَهْلٍ  
فَإِنْ تَقْتُلُونِي فَتَقْتُلُونِي ولم أَكُنْ لِأَشْرِكِ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ القَتْلِ

إنَّ ثَبَاتِ بِلَالٍ هَذَا هُوَ خَيْرُ دَلِيلٍ ، وَأَصْدَقُ بَرهَانٍ عَلَى حُبِّهِ لِلشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ، وَأَمْثَالِ بِلَالٍ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ الَّذِينَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ شَوْقُ الشَّهَادَةِ ، فَمَضُوا بِتَحِينُونَ الفُرْصَ لِكِي يُتَرَجِمُوا هَذَا الحُبَّ وَهَذَا الشَّوْقَ إِلَى عَمَلِ مَلْمُوسٍ .

فهذا مجاهد من المسلمين يؤكد حبه وحرصه على الشهادة بشكل أذهل فيه قاتله ، فقد طعن جبار بن سلمى (٢) وهو ممن حضر يوم بئر معونة (٣) رجلاً (٤) من أصحاب النبي ﷺ في ذلك اليوم ، حتى خرج الرمح من بين كتفيه ، فنظر إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعه يقول: فزت والله: فقال جبار في نفسه: بما فاز ! ألسنتُ قتلتَه !

(١) لسير والمعارى: ١٩٠ محمد بن إسحاق المنصفي تحقيق: د. سبيل زكار .

(٢) هو جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب الكلابي ، أسسه بعد يوم بئر معونة .

يُنظر: الإستيعاب: ٢٢٩/١ - ٢٣٠ ، و يُنظر: الإصابة: ١/ ٢٢٩ .

(٣) كان ذلك اليوم في صفر سنة أربع للهجرة ، إذ قدم على رسول الله ﷺ ، وطلب منه أن يرسل معهم وهذا من أصحابه يُعلمون قريتهم الإسلام ويدعوهم إليه ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من الصحابة الكرام ، منهم الحارث بن الضمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن عبد بن ربيعة ، وعامر بن فهيرة ، فساروا حتى برلوا بئر معونة ، عندها انتصروا عليهم قبائل من بني سليم ورغل وذكوان ، فخرجوا حتى غشوا الصحابة الكرام ، واحاطوا بهم فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم " رحمهم الله " ، يُنظر: المغازي: ٣٤٦/١ للواقدي ، والسيرة النبوية: ١٩٣/٣ - ١٩٤ ، وطاقات ابن سعد: ٥١/٢ - ٥٤ ، وتاريخ خليفة بن خياط: ٣٨/١ - ٣٩ ، وتاريخ الأمام والملوك: ٣٣/٣ - ٣٦ للنضري ، و يُنظر: تاريخ الإسلام (المغازي): ٢٣٥ - ٢٤١ للإمام الذهبي ، وسدرة المنتهى ٣ - ٧١ - ٧٤ للحافظ ابن كثير ، وأيام العرب في الإسلام: ٥٦ - ٥٨ محمد أبو العفضل إبراهيم وعلي محمد البحاري

(٤) هو أبو ملحان الأنصاري . يُنظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٦/١ .

يقول: حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا: فاز بالشهادة ، فاسلم جبار وقال: فاز لعمر  
الله (١).

إن في استنشاد هؤلاء الوفاء حقيقة ثابتة ومهمة ، وهي أن طاعة الله تعالى وطاعة  
رسوله الكريم ﷺ جزء مهم من أركان عقيدة المسلم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ  
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٢). ولا  
تكتمل هذه العقيدة حتى يكون الله ورسوله الكريم أحب إليهم من كل شيء ، وهذا الحسب  
هو الذي يجعلهم يقدمون إلى كل عمل ينالون به طاعتها ويقربهم إلى الجنة ، لذلك نراهم  
عندما يأمر الله تعالى بأمر يتسابقون إلى تلبية هذا النداء دون تردد ، لأن لهم فيه الخير  
الكثير ، فها هو عبد الله بن رواحة أحد قادة مؤتة (٣) الثلاثة الذين سيرهم الرسول ﷺ إلى  
قتال الروم ، فلما ودع الناس أمراء الرسول الكريم ، بكى ابن رواحة ، فقالوا: ما يبكيك يا  
ابن رواحة ؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها ولكني سمعت رسول الله ﷺ  
يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٤) ، فلتسبت  
أدري كيف لي بالصدر بعد الورد ، فقال المسلمون: صَحِيحُكُمْ اللهُ ودفع عنكم ، وردكم  
إلينا صالحين ، فأمن الناس إلا ابن رواحة (٥) ! لماذا ؟ لأنه يريد ذروة الإيمان والوفاء ،  
يريد الشهادة (٦) .

(١) يُظن: السيرة النبوية: ١٩٦/٣ ، وتاريخ الطبري: ٣٥/٣ ، وإستيعاب: ٢٣٠/١ .

(٢) سورة الأحراب: الآية ٣٦ .

(٣) حدثت غزوة مؤتة في حمادى الأولى سنة ثمان للهجرة ، وسب هذه الغزوة أن الرسول الكريم ﷺ بعث الخارث بن  
عمير الازدي إلى ملك بصرى وهي من أعمال دمشق بكتابه ، فلما نزل مؤتة وهي قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ،  
عرض للحارث شرحبيل ابن عمرو الغساني ، فقال: أين تريد ؟ فقال: الشام ، قال لعلك من رسل محمد ؟ قال نعم ، فأمر  
به فضربت عنقه ، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره . يُظن: السيرة النبوية: ١٥/٤ ، وتاريخ الطبري: ١٠٧/٣ - ١١٠ ،  
والنبيه والأشراف: ٢٣٠ علي ابن الحسن السعودي ، وتاريخ تَهذِيب دمشق الكبير: ٩٢/١ - ١٠٢ لابن عساكر ،  
وتاريخ الإسلام ( المغازي ): ٤٧٩ - ٤٩٩ ، وأبام العرب في الإسلام: ٩٢ - ٩٥ .

(٤) سورة مريم: الآية ٧١ .

(٥) يُظن: السيرة النبوية: ١٥/٤ .

(٦) يُظن: الشهادة والشهد في الإسلام وفي فادسية العرب الثانية: ١٠ ، صححي الحديثي .

فقال (١):

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً      وضربة ذات فرغ تَقْذِفُ الزَّبَدَا  
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجَهَّزَةً      بحربة تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبَدَا

فما السبب الذي حمل ابن رواحة على اختيار الشهادة؟ ومعروف عن عبد الله إيمانه وتقواه فيؤمّن شهد العقبة الثانية، وأحد الاثني عشر نقيباً الذين أختيروا بأمر رسول الله ﷺ، والذين قال لهم: " أنتم على قومكم بما فيكم كغلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كقيل على قومي " (٢). وهو من أصحاب بدر، فقال في حقهم ﷺ: " اعملوا ما سننتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم " (٣).

لا شك بعد ما تقدم أن رسوخ عقيدة الإسلام في اعتقاد هذا القائد، وإيمانه الصلوق بعدالة الرسالة التي أمروا بنشرها، كان باعثاً قوياً لهذا القائد لكي يختار الشهادة على العودة سالماً، فدعا المولى ﷺ أن يرزقه الشهادة بضربة سيف عميقة واسعة من عدو يبارزه، فيتدفق بسببها الدم، فينال بها الشهادة (٤)، أو طعنة رمح من (عدو يكون حريصاً على دمه حرص العطشان على الماء) (٥)، فتخرج هذه الطعنة ما في بطنه من كبد وطحال وكرش وما تبعه، ولم يكن ببال الشاعر المجاهد أن يكون بعيداً عن عدوه، ولكن حرصه على الشهادة وتحريره لها دفعه إلى هذا الاحتمال (٦).

بل إن حرصه هذا كان عاملاً حاسماً لاختلاف المسلمين عندما علموا بكثرة عدد عدوهم، فقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإمّا أن يمددنا بالرجال، وإمّا أن يأمر بأمره فنمضي له، وفي أثناء هذا الاضطراب في أمر المسلمين، جاء أثر محبب الشهادة، فشجّع الناس وقال: يا قوم والله إن التي تكروهن للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا

(١) ديوانه: ٨٨، تحقيق د. حسن محمد باجوده.

(٢) السيرة النبوية: ٨٨/٢.

(٣) صحيح البخاري: ١٤٦٣/٤.

(٤) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٥٩ - ٦٠.

(٥) حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة: ٣١١/١ هر سك، مستارلي حابي.

(٦) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٦٠.

الله به ، فأَنْطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحسنين ، إمّا ظهوراً وإمّا شهادة ، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة <sup>(١)</sup> . وأثر عبد الله هذا الذي حسم به الموقف يُذكرنا بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ <sup>(٢)</sup> . ( لقد أمدّهم الإسلام بقوة روحية جبّارة ، وبث في نفوسهم من صلابة الإيمان ما يبعث على الذهول والحيرة ، فانسابوا في جوانب الأرض فاتحين ) <sup>(٣)</sup> ، تدفعهم الرغبة في سبيل الله ، ويحدوهم الإيمان لنشر هذا الدين ، فنلّوا المصاعب ، واستهانوا بالموت واستعذبوا طعم الشهادة <sup>(٤)</sup> ، التي وجدوا فيها طعاماً لم يألفوه <sup>(٥)</sup> . فهذه الفئة المجاهدة في سبيل الله حينما شرعت الأسنة طلقت تلك المعيشة التي كانت راضية بها ، واستبدلتها بأخرى تقوم على بذل الروح سخية في سبيل الله تعالى <sup>(٦)</sup> ، فواصل الجيش طريقه نحو مؤتة وحلم الشهادة ما يزال يُراود ابن رواحة ، فهذا زيد بن أرقم يروي لنا ما سمعه من عبد الله وقد كان رفيقه في ذلك المسير ، قال عبد الله <sup>(٧)</sup> :

إِذَا أُدِّيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي      مَسِيرَةً أَرْبَعٌ بَعْدَ الْحَسَاءِ  
فَشَأْنُكَ أَنْعَمٌ وَخَلَاكَ ذَمٌّ      وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي

فهو يطلب الشهادة حباً في لقاء الله ، ويُناشد راحلته أن تُسهم في تحقيق هذا الاستشهاد ، وذلك بأن تُوصله إلى ساحة المعركة حيث ينالُ مناه ، فإن فعلت فهي خُربة

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ١٥/٤ - ١٧ ، وطبقات ابن سعد: ١٢٨/٢ - ١٣٠ ، وتاريخ خليفة: ٤٩/١ - ٥٠ ، وتاريخ الطبري: ١٠٧/٣ - ١٠٨ ، وعيون الأثر في فروع المغازي والشمال والسير: ١٩٨/٢ - ٢٠٢ لابن سيد الناس ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٤٨١ ، والبداية والنهاية: ٢٤١/٤ - ٢٤٥ ، وأبسام العرب في الإسلام: ٩٢ - ٩٤ .

(٢) سيرة آل عمران: الآية ١٧٣ .

(٣) الشعر والفتوح الإسلامية: ٩ ، ( بحث ) . د. نوري هودي النبسي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الأول ، ١٣٨٨ حزيران ١٩٦٨ .

(٤) يُنظر: الشعر والفتوح الإسلامية: ٩ .

(٥) يُنظر: شعر الخرب في عصر الرسالة: ٤٠ ، د. نوري هودي غنسي .

(٦) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٦٨ - ٦٩ .

(٧) ديوانه: ٧٩ .

بعد ذلك <sup>(١)</sup>، بل وصل ( به أمل الاستشهاد في سبيل الله إلى وقوعه فتركه المسلمون بأرض الشام ينعم برضا الله وجواره ) <sup>(٢)</sup> ، فقال <sup>(٣)</sup>:

وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي      بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي الشَّوَاءِ  
وَرَدَكَ كُلَّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ      إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الْإِحْثَاءِ  
هَذَا لَكَ لَا أَبَايَ طَلَعَ بَعْلٍ      وَلَا نَخْلٍ أَسَافِلَهَا رِوَاءِ

إنَّ أَمَلَ الشَّهَادَةِ سَمَا بِهِ حَتَّى ( استحال إلى واقع في نفسه فأضحى ميتاً حياً ، وحياً ميتاً فتشابه الموت والحياة في تصويره ، وتخيل المسلمين وقد تركوه مُسَجِّى في قبره حيث تنقطع صلة الإنسان إلا بالله ، ... ينتظر ثواب الله ونعيمه وليكون ذكراً للمؤمنين الصادقين يذكرونه بهذا الإيمان ) <sup>(٤)</sup> ، فقال <sup>(٥)</sup>:

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَيَّ جَدَّتِي      أَرَشَدُهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

فحان اللقاء وتقابل الجيشان ، فتقدم قائد المسلمين زيد بن حارثة حاملاً راية الإيمان فقاتل بقوة العقيدة حتى استشهد ، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ، فتقدم الصفوف يقاتل الأعداء حتى مال شبيداً <sup>(٦)</sup> ، وهنا يأتي أثر الذي طالما منى نفسه بالشهادة، فأخذها عبد الله وهو حريص على هذه الفرصة ، فتقدم الصفوف يقاتل الأعداء وما زال كذلك حتى رزقه الله الشهادة وقرَّ عينه بها ، ولم يكن الشعر غائباً عن هؤلاء الشهداء ، بل كان دائماً في حضور مستمر ، فهو في مثل ( هذه المواقف لا يترك الرجال مجردين ، ولا يتحدث عنهم معزولين بعد أن دخل عنصر العقيدة بشكل مجسد وتوضحت تأثيراته بصورة عميقة وقد امتنَّت جذوره فامتلكت زمام المبادرات ) <sup>(٧)</sup> ، فهذا شاعر الرسول والمسلمين يصور لنا حرص عبد الله على الشهادة بصدر رحب في حين ضاقت

(١) يُنظر: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ : ٤١٠ د. عبد الرحمن خليل إبراهيم .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ديوانه : ٨٠ .

(٤) دور الشعر في معركة الدعوة أيام الرسول : ٤١١ .

(٥) ديوانه : ٨٨ .

(٦) يُنظر: السيرة النبوية : ٢٠/٤ .

(٧) شعر الحرب حتى ق ١١٩هـ/ .

بها صدور غيره ، فما أن استشهد أصحابه حتى تقدم وهي فرصته التي طالما يتمناها ، فأخذ الراية وقاتل حتى لحق بهما ، فقال حسان (١) :

وَإِنْ ضَاقَ بِالْمَوْتِ صَدْرُ أَمْرِي فَصَدْرُكَ بِالْمَوْتِ لَمْ يَخْرُجِ  
مَضَى صَاحِبَاكَ وَقَدْ ضَرَجَا شَهِيدَيْنِ بِالْعَلَقِ الْأَضْرَجِ  
وَكَانَ لِبَائِكَ عَن صَاحِبَيْكَ كَمَلَجِمِ طَرْفٍ وَلَمْ يُسْرَجِ

إن في ( معاني هؤلاء الشهداء تتجلى لنا العقيدة التي دفعت الرجال المؤمنين إلى مجالدة الفرس وقتال المشركين من المجوس ، وهم يجودون بالنفوس ، بقدرة لا تقاوم ، ومقاومة لا تقهر ، وإحساس عميق يؤكد حقيقة التمسك ) (٢) بهذه العقيدة ، التي رسخها الدين الجديد ، الذي ملأ على العرب حياتهم وحملهم على البذل والتضحية والفداء في سبيل نشر دينهم الجديد الذي ارتضاه الله لهم (٣) . وهذا يعني أن ( الشهادة والعقيدة توأمان جمع الله بينهما ، ومن لا عقيدة له ولا إيمان يكون جباناً يخشى الموت يجر وراءه ذبول الخيبة والخزي والعار ) (٤) ، فهذا فروة بن عامر الجذامي كان عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام (٥) ، أسلم فذاق حلوة الإيمان ، وعرف قيمة المبادئ التي جاء بها الإسلام (٦) ، ( فبلغ الروم إسلامه فطلبوه وحبسوه ) (٧) ، لكنه لم يخضع لتهدياتهم له ، فعند ما قدم للصلب لم يفزع منه ، لأنه مؤمن بعقيدة الإسلام التي استقرت في داخله ، هذه العقيدة التي دفعته إلى أن يحرص على الموت أكثر

(١) ديوانه: ٤١٢ تحقيق د. ونبذ عرفات .

(٢) شعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٨ .

(٣) يُنظر: الأدب في عصر السيرة والراشدين: ٣٠٠ .

(٤) الشعر في زمن الحرب: ١٥٣ ، د. احمد مطلوب .

(٥) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٧/٤ ، والروض الأنف: ٤٠٦/٧ ، والإصابة: ٢١٧/٥ .

(٦) يُنظر: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٥٢٣هـ / ١٧٨ ، د. أيهم عباس القبسي .

(٧) السيرة النبوية: ٢٣٧/٤ ، الروض الأنف: ٤١٦/٧ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣٥٧/٤ لعز الدين أبي

الحسن علي الجزري ، الإصابة: ٢١٧/٥ .

من حرصه على الحياة ، واندفاعه إلى الاستشهاد أكثر من تراجعهِ حُباً في الدنيا (١) ،  
فقال (٢):

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْبِي  
سَلِّمْ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي

إنَّ رَسُوخَ الْعَقِيدَةِ فِي اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَلَامَةَ الْمَبَادِئِ الَّتِي جَاءَ بِهَا وَالسُّتْرَمُ بِهَا  
الْمُسْلِمُونَ ، كَانَتْ عَامِلاً حَاسِماً فِي ثَبَاتِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وِفَاةِ الْمُسْطَفِيِّ ﷺ ، فَهَذَا عُمَيْرُ بْنُ  
ضَابِي الْيَشْكْرِي ، كَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَلَمَّا ارْتَدَّوْا ثَبِتَ هُوَ عَلَى دِينِهِ ،  
وَعَنَّفَ قَوْمَهُ عَلَى رِدَّتِهِمْ (٣) ، وَأَعْلَنَ لَهُمْ أَنَّ دِينَهُ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ  
الْمُسْطَفِيُّ ﷺ ، وَلَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ عَلَى هَذَا الدِّينِ ، بَلْ إِنَّ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ ثَبِتَ عَلَيْهِ ، لِذَلِكَ هُوَ  
لَا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنْتَهَى عَلَى هَذَا الدِّينِ ، لِأَنَّهُ إِنْ قُتِلَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَهِيدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ،  
فَقَالَ (٤):

إِنَّ دِينِي دِينُ النَّبِيِّ وَفِي الْقَوْرِ  
مِ رِجَالٍ عَلَيَّ الْهُدَى أَمْثَالِي  
إِنْ تَكُنْ مَيْتِي عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ  
حَنِيفًا فَيَأْتِي لَأَبُوبَالِي

إنَّ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ نَمَائِجِ الْفِدَاءِ وَالتَّضْحِيَةِ يَعْكَسُ لَنَا مَفْهُومَ الْوَفَاءِ الَّذِي ظَلَّتْ  
الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ، وَتَتَعَامَلُ بِمُوجِبِهِ مَعَ كُلِّ الْأَحْدَاثِ ، وَتَسْتَهَيِّنُ بِكُلِّ  
التَّضْحِيَّاتِ (٥) ، الَّتِي لَوْلَاهَا مَا قَامَتْ لِلْإِسْلَامِ دَوْلَةٌ ، وَلَا عُرِفَتْ لَهَا رَايَةٌ ، وَمَتَى مَا تَمَوَّتْ  
رُوحُ الشَّهَادَةِ يُنَلِّ الْمُسْلِمُونَ ، وَمَا تَمَوَّتْ إِلَّا حِينَ تَضَعُ رُوحَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (٦) .

(١) يُظَرُّ: شعر العقيدة: ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) نَسْرَةُ السُّوَيْبِيَّةِ: ٢٣٨/٤ ، وَيُظَرُّ: الرُّوْحُ الْأَمْرُ: ١٧/٧ ، وَأَسَدُ الْعَانَةِ: ٣٥٧/٤ ، وَالْإِصَابَةُ: ٢١٧/٥ .

(٣) يُظَرُّ: الْإِصَابَةُ: ١٢٣/٥ .

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ .

(٥) يُظَرُّ: شعر الحرب حتى ق ١ هـ / ٨٨ .

(٦) يُظَرُّ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ٥٠ (مقالة) للدكتور رشيد عماد التكريتي ، مجلة التربية الإسلامية ، العدد السابع ،

السَّعْدَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ ، دَوْرُ الْحَجَّةِ / ١٤٢٢ هـ - شَاطِئُ ٢٠٠٢ .

وقد استطاع الشعر أن يوضح لنا أثر العقيدة التي ( حملت المقاتلين على خوض غمار هذه البداية التي يضيع بها الدليل ، ويضيع بها العارف ، وتمتحن الإرادة )<sup>(١)</sup> ، وما هذا كله إلا حباً في الشهادة ، والفوز بأجرها عند الله تعالى .

## ٢ . تحريض قادة جيوش المسلمين

كان لقادة المسلمين أثر كبير وحاسم في إقدام المجاهدين نحو الأعداء وقتالهم والفوز بالشهادة وثمرتها الجنة ، فكان النبي محمد ﷺ من أكثر هؤلاء القادة حرصاً على تحريض المجاهدين على الإقدام ومقاتلة الأعداء ونيل الشهادة ، لأنه ﷺ أعلم الناس بهذه المنزلة العظيمة وأجرها عند الله تعالى ، لما أراه وأخبره المولى ﷺ عن هذه الدرجة الرفيعة ، ففي كل معركة يخوضها المجاهدون المسلمون كان هو قائدهم الأعلى يتفقد الصفوف فينظمها ويرصها وكأنها صفوف صلاة ، وذلك لان المولى ﷺ يحب هذه الصفوف فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَيِّنَاتٌ مَرُصُوصًا ﴾<sup>(١)</sup> ،

وقبل اشتداد المعركة وفي لحظاتها الحاسمة كان "عليه الصلاة والسلام" يذكر المجاهدين بأجر الشهادة ، حتى تكون حافزاً لهم على نيلها والفوز بمقامها العظيم عند المولى العظيم، فكان ذلك في أول فاصلة التقى فيها جيش الإيمان يقوده المصطفى ﷺ وجيش الكافرين ، ومما زاد في رغبة المجاهدين فيما يطمحون إليه في هذه المعركة هو سقوط شهيدتين من المسلمين وهما مهجع<sup>(٢)</sup> ، وحاتمة<sup>(٣)</sup> ، إذ أصيبا بسهام المشركين فكانا أول شهيدتين من المسلمين في ساحة المعركة ، التي دارت رحاها وتبارز فرسانها ، وتساقت القتلى والشهداء ، وفي هذه المعركة اثبت الصحابة الكرام صدقهم في قتال الأعداء ، يوم أن استجابوا لنداء الرسول الكريم ﷺ وهو يحرضهم على الاستشهاد في

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١ هـ / ١٦٨ .

(٢) سورة الصف: الآية ٤ .

(٣) هو : مهجع بن صالح مور عمر بن الخطاب ﷺ شهيد سراً فكان أول قتيل من المسلمين بين الصفيين أتاه سهم فقتله .

يُسر الاستيعاب ٤/ ١١٨٦ ، والإصابة ٦/ ١٤٦٦ .

(٤) هو: حاتمة بن سراقه بن الحارث بن عدي بن عامر ... شهيد سراً وقتل يومئذ شهيداً قتله حاتم بن العرقه سهم أصاب

حجرته، فكان أول شهيد من الأضار يُنظر: الإستيعاب ١/ ٣٠٧ - ٣٠٨ ، والإصابة: ١/ ٣١١ .

سبيل الله ، فما بدّلوا ولا تردّدوا حتى نالوا الشهادة جماعة مباركة ، فهم يعلمون أن مصيرهم الموت فليكن ذلك في سبيل الله ، كما إنهم يرجون شفاعة المصطفى ﷺ يوم القيامة ، يوم يتسابق الناس في طلب شفاعة الأنبياء ، فهذا حسان بن ثابت يجسد لنا ذلك كله فقال (١) ،

دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعُ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ  
فَمَا بَدَّلُوا حَتَّى تَوَافُوا جَمَاعَةً وَلَا يَقْطَعُ الْإِجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ  
لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّنَ شَافِعُ  
وَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا وَمَشْهُدُنَا فِي اللَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ

بأمثال هؤلاء الرجال نصر الله تعالى الإسلام والمسلمين ، وأذل الكفر والكافرين ، وأعلى راية الحق والدين المبين وهذا الإنجاز ما كان ليتحقق من دون مقابل بل كان الثمن تضحيات ودماء طاهرة زكية قد عطرت الأرض التي سالت عليها إنهابها دماء الشهداء الأبرار الذين على جثثهم ( ينتهض بناء الأمة ويسمق حتى يطال السحاب شموخاً وعزرة وإباء ) (٢) ، فدم الشهيد هو وقود حياة الأمة ، وهو الطاقة الخفية التي تشق للامة الخلود والمجد ، وتظللها بسحاب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء (٣) ، وبانتصارهم على أعدائهم تتجلى وحدتهم وتضامنهم وحبهم للشهادة في سبيل الله ، وإلبيهم اطمأن رسول الله ﷺ لما رأى من قوة عزيمتهم وصدق إيمانهم واجتماع كلمتهم وصفهم لمواجهة المشركين (٤) ، الذين تجمعوا مرة أخرى للأخذ بثأر قتلاهم من المسلمين الذين استعدوا لهذا اللقاء بإيمان صادق وعزيمة قوية على النصر أو الشهادة فخرج رسول الله ﷺ يحرض المسلمين على نيل الشهادة فيقول : " لئن اقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل الوبر والمدر " (٥) ، ولم يكن الشعراء بمنأى من هذه المعارك بل كانوا يتقدمون صفوف المقاتلين وهم يشيدون بمعاني الفداء والتضحية ، ويحرصون على تثبيتها في

(١) ديوانه: ٢٦٧ .

(٢) الشهيد في الإسلام: ١٣٩ ، كيف السبيل إلى الله الجهاد والاستشهاد في الإسلام: ١٠٦/١٦ .

(٣) نُصدر عنه: ١٤٠٠ ، والمصدر عنه .

(٤) يُنظر: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية: ٣٩٥ ، د. رشيد الحميلي .

(٥) مس السباني: ٢٢/٣ .

المقاتلين وهم يشيدون بمعاني الفداء والتضحية ، ويحرصون على تثبيتها في أسماع المجاهدين ، لكي تكون لهم حافزاً على التقدم لنيل الشهادة<sup>(١)</sup> ، فهذا كعب بن مالك شاعر مجاهد قد نذر نفسه في سبيل الله تعالى ، يصور لنا أثر المصطفى ﷺ في تحريض المجاهدين على بذل النفس في سبيله تعالى والفوز بالشهادة<sup>(٢)</sup> ، فقال<sup>(٣)</sup> :

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا      ذَرُّوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَأَطْمَعُوا  
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرَبًا      إِلَىٰ مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ<sup>(٤)</sup>

فاستجاب الصحابة الكرام لنداء الرسول الكريم ﷺ واندفعوا نحو أعدائهم وهم يجودون بأنفسهم في سبيله تعالى ، ويدعونه ﷺ أَنْ يَرْزُقَهُمُ الشَّهَادَةَ ، فهذا عبد الله بن جحش<sup>(٥)</sup> ، مجاهد شجاع استبد به شوق الشهادة ، فقد شهد بطلاً لكنه لم يرزق فيها الشهادة وفي أحد دعا الله تعالى أَنْ يَرْزُقَهُ لِيَاهَا ، فقال: ( اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله فيم جدع انفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت )<sup>(٦)</sup> ، فاستجاب الله دعاءه ورزقه الشهادة .

لقد أثبت صحابة رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه صدق طاعتهم له ، واستجابتهم لأوامره ، فمضوا يقاتلون الأعداء حتى دعاهم المولى ﷺ إلى جنة دوحة المولج ، فهذا كعب بن مالك قد جند نفسه داعية من دعاة الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبت أفكاره ومبادئه ، فرغب المسلمين في التطلع إلى نعيم

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى في ١ هـ - ١٤٤ ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٤٩ - ٥٠. د. سامي مكِّي العالبي .

(٢) يُنظر: نظرات في شعر صدر الإسلام: ٥٠ .

(٣) ديوانه: ١٨٢ ، تحقيق د. سامي مكِّي العالبي .

(٤) بشري : بيع . يُنظر: اللسان: ٤/٢٢٥٢ ( شري ) .

(٥) هو: عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن حوة بن مرة بن كثير بن غم قتل يوم أحد شهيداً فدفن هو وحمرة في قعر

واحد يُنظر: الإستيعاب: ٣/٨٧٧ - ٨٨٠ ، والإصابة: ٤/٤٦٠ .

(٦) الإستيعاب: ٣/٨٧٩ ، ويُنظر: الإصابة: ٤/٤٦٠ ، وحياة الصحابة: ١/٥٢٥ يوسف الكاندهلوي .

الأخرة والفوز بما عند الله من جزيل الثواب والأجر المقيم في دار الخلد ، حاضاً على الاستشهاد وبذل النفوس رخيصة في سبيل الله (١) . فقال (٢):

وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ التَّعِيَمِ	كِرَامِ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ	لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِيهَا	جَمِيعاً بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا	عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمُنْهَجِ
فَمَا بَرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ	وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكَ	إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْجِ

فنحن نرى مشاركة الأنصار من الأوس والخزرج لإخوانهم المهاجرين في قتال الأعداء، فهم أيضاً أي الأنصار قد شاركوا الرسول ﷺ قتاله لأعداء الإسلام ، وبذلو الأرواح في سبيله تعالى، فهذا كعب بن زهير يؤكد لنا ذلك فقال فيهم (٣):

وَالْبَادِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَيْبِهِمْ      يَوْمَ الْهَيَاجِ وَقُبَّةِ الْجَبَّارِ

وبعد وفاة المصطفى ﷺ واصل قادة المسلمين دورهم في تحريض المجاهدين على الفداء والنضحية في سبيل الله تعالى ، ففي موقعة اليرموك (٤) بات المسلمون ليلتهم في بكاء وتضرع وهم يسألون المولى ﷺ النصر على الأعداء إلى أن أصبح الصباح ، فصلى بهم الأمير أبو عبيدة ؓ صلاة الفجر ، فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع إلى الخروج خالك بن الوليد ؓ فأخذ يحرض أصحابه على الإقدام بأشعار استنهض بها

(١) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٤٩ د. عمود حسن ربي .

(٢) ديوانه: ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ٢٧ .

(٤) كانت للعرب على الروم سنة ١٣ هـ ، واليرموك واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن . يُنظر: تاريخ الطبري: ٣٢/٤ -

٤٧ ، والكامل في التاريخ: ٤١٠/٢ لابن الأثير ، ومعجم البلدان: ٤٩٩/٨ ، وأيام العرب في الإسلام: ٢٠٧ -

اليهم ، والهيب بها مشاعر الحماس والاندفاع في نفوس المجاهدين لكي يواصلوا قتالهم لأعداء الإسلام <sup>(١)</sup>، فحبب إليهم الشهادة ولذة الفوز بها <sup>(٢)</sup>، فقال <sup>(٣)</sup>:

هَبْوا جَمِيعَ إِخْوَتِي أَرْوَاحًا      نَحْوَ الْعُدُوِّ نَبْغِي الْكِفَاحًا  
تَرْجُوْا بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالتَّجَاحًا      إِذَا بَدَلْنَا دُونَهُ أَرْوَاحًا  
وَيَرْزُقُ اللَّهُ لَنَا صَلاَحًا      فِي نَصْرِنَا الْعُدُوَّ وَالرَّوَاحًا

وهذا ضرار بن الأزور <sup>(٤)</sup> يقود أحد جيوش المسلمين في فتوح الشام فيتقدم بهم وينشدهم شعراً جهادياً رغب فيه جنده على مواصلة القتال والدفاع عن حياض المسلمين ، والسعي في مرضاة رب العرش العظيم ، فمن كان يريد عتق نفسه من النار فما عليه إلا أن يتقدم ويقاتل أعداء الإسلام ويفوز بالشهادة ، فقال <sup>(٥)</sup>:

أَلَا فَاحْمِلُوا نَحْوَ اللَّئَامِ الْكَوَاذِبِ      لَتَرَوْا سَيُوفًا مِنْ دِمَاءِ الْكُتَّابِ  
وَرُدُّوا عَنِ الدِّينِ الْمُعْظَمِ فِي الْوَرَى      وَارْضُوا إِلَهَ الْعَرْشِ رَبَّ الْمَوَاهِبِ  
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَبْتَغِي عِتْقَ رَبِّهِ      مِنْ النَّارِ فِي يَوْمِ الْجِزَا وَالْمَآرِبِ  
فَيَحْمِلُ هَذَا الْيَوْمَ حَمْلَةَ ضَيْغِمٍ      وَيُرْضِي رَسُولًا فِي الْوَرَى غَيْرَ كَاذِبِ

لقد وجد قادة جيوش المسلمين في شخص رسول الله ﷺ خير فتوة لهم وهم يقودون هذه الجيوش من بعده وخاصة عندما يحرض أصحابه على الإقدام والامتنشهاد ، فيذا

(١) يُنظر: شعر العقيدة: ١٥٥ .

(٢) يُنظر: دراسات في الأدب الإسلامي: ٢٣٣ د. سامي مكّي العلي ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٤٣ .

(٣) فتوح الشام: ١٥٧/١٢ - ١٥٨ للواقدي .

(٤) هو ضرار بن الأزور بن مرداس بن حبيب بن عمرو بن كثير الاسدي ، كان فارساً شجاعاً وشاعراً مطبوعاً ، نيل استشهاده يوم البصرة ، وقيل استشهد يوم احد ، ويقال انه شهد اليرموك وفتوح الشام ، يُنظر: الاستيعاب: ٧٤٦/٢ -

٧٤٨ ، يُنظر: الإصابة: ٢٦٩/٣ - ٢٧٠ .

(٥) فتوح الشام: ٢٦٨/١ .

شرحبيل بن حسنة<sup>(١)</sup> يقود أحد جيوش المسلمين في فتح مصر ، فيحرض جنده على مصاولة الأعداء ، وخوض غمار الموت جهراً ، والموت في سبيل الله شهداء كرماء . فقال<sup>(٢)</sup>:

أَلَا يَا عُصْبَةَ الْإِسْلَامِ صُورُوا      عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالسَّيْفِ الصَّقِيلِ  
إِذْ يَقُوهُمْ حِيَاضُ الْمَوْتِ جَهْرًا      بِلَذْعِ السَّمْهَرِيِّ الرَّمْحِ الطَّوِيلِ  
وَمُوتُوا فِي الْوَعْيِ قَوْمًا كِرَامًا      شِدَادًا فِي الْمَعَامِ وَالسَّرْوِ

وكانوا في إقدامهم نحو الأعداء يثيرون عزائم رفاقهم المجاهدين بما ينشدونه من أشعار يستذكرون فيها بطولاتهم السابقة ، حتى تكون حافزا للمجاهدين على الإقدام<sup>(٣)</sup> ، فالسوار وهو قائد مجموعة من المجاهدين يوم طاوروس<sup>(٤)</sup> يتقدم نحو الأعداء وهو ينشد رجزه الجهادي ، فيقول<sup>(٥)</sup>:

يَا آلَ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلْقِرَاعِ      قَدْ حَفِلَ الْأَمْدَادُ بِالْجِرَاعِ<sup>(٦)</sup>  
وَكُلُّهُمْ فِي سِنَنِ الْمَصَاعِ      يُحْسِنُ ضَرْبَ الْقَوْمِ بِالْقَطَّاعِ<sup>(٧)</sup>

فما زان يقاتل حتى استشيد "رحمه الله تعالى" . فكان لهذا الإقدام ولهذا الرجز أثر عند قائد آخر ، الجارود بن المعلى الذي خرج يقود مجموعة أخرى من المجاهدين ويتقدم نحو الأعداء ، يقاتلهم بسيفه ويحرض رفاقه بشعره الجهادي ، فأرتجز قائلاً<sup>(٨)</sup>:

(١) هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عبد الله وهو من كندة ، نُسب إلى أمه حسنة ، وهو من مهاجرة احشة ، توفي سنة ثمان عشرة ، يُنظر: الإسنجاب: ٦٩٨/٢ - ٦٩٩ ، والإصابة: ١٩٩/٣ .

(٢) فتوح الشام: ٢٣٤/٢ .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١٤١/١٩٤ .

(٤) كان للمسلمين على الفرس . يُنظر تاريخ الطبري: ٢١٢/٤ - ٢١٣ ، وضاووس موضع بنواحي فارس . يُنظر: معجم البلدان: ٢٤١/٦ .

(٥) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

(٦) الجراح: جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المستوية المسهلة . ينظر: اللسان: ٦٠١/١ (جرع) .

(٧) المصاع: المجالدة والمضاربة . ينظر: اللسان: ٤٢١٨/٦ (مصع) .

(٨) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

لَوْ كَانَ شَيْئًا مِمَّا أَكَلْتَهُ .  
أَوْ كَانَ مَاءً سَادِمًا جَهْرَتَهُ (١)  
لَكِنَّ بَحْرًا جَاءَنَا أَنْكَرْتَهُ

فقاتل قتال الأبطال حتى سقط شهيداً "رحمه الله تعالى" (٢).

إنَّ النماذج المذكورة آنفاً جسدت وبشكل جلي إسهام قادة جيوش المسلمين في هذا العصر وبشكل كبير في إقدام المقاتلين المسلمين نحو التضحية والاستشهاد فكانت الأشعار التي أنشدوها باعثاً قوياً على حب الشهادة والحرص عليها ، كما إنَّ أسلوبهم في التحريض والترغيب كان له أثر مهم في حسم المعارك لصالح المسلمين ، فالمقاتل الذي يكون تحت إمرة هذه القادة فإنه سوف يشق صفوف الأعداء ويمزقها بحثاً عن الشهادة وما يزال هكذا حتى ينال ما يبحث عنه ، وسوف يبقى هذا الباعث عاملاً حاسماً ما تمسك به من جاء بعدهم من قادة .

### ٣ . الجهاد في سبيل الله :

كان المسلمون في بداية أمرهم قلة مستضعفة يطاردها أعداء الإسلام، لكن هذه القلة وبمرور الأيام ازدادت عدداً ، وقويت نفوذاً ، وأصبحت ليا دولة إسلامية مستقلة عندما هاجروا جميعاً إلى المدينة المنورة ، وبعد هذا الاستقرار أمرهم الله تعالى بنشر رسالته إلى العالم أجمع وأن يبدؤوا أولاً بمن يجاورهم ، لكن هذه الدعوة كانت تحتاج إلى قوة السلاح لكي تحميها وتضمن ليا الديمومة والاستمرار ، عندها أدن الله تعالى لعباده المجاهدين بالقتال ، فقال تعالى: ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣) . ففرح المجاهدون بهذه البشارة العظيمة من المولى ﷺ وفي الوقت نفسه

(١) نساء السادم: الشعر ، وجهرته: أي عرفته وكشنته . ينظر: اللسان: ١٩٧٦/٣ ( سدم ) ، وانصدر نفسه: ٧١٠/١ ( حنبر ) .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩ .

أخبره المولى "تبارك وتعالى" أن ( الجهاد طريق مزروع بالأشواك ، كثير العقبات متنوع الصعوبات محفوف بالمكاره والشدائد . ولكنه سبيل ثلثة من البشر هم في مصاف السابقين ومع النبيين والصالحين وهم عليّة الناس ، وصفوة الخلق بعد الرسل والأنبياء والصدّيقين ، إنه طريق الشهداء ) (١) ، لأن المولى "تبارك وتعالى" قد وعدهم بأن الذي يُقتل منهم أو يموت مجاهداً في سبيله تعالى فقد فاز بمغفرته تعالى ورحمته ، ومن يغفر الله له ويرحمه فما بعد ذلك إلا الجنة ، فقال تعالى: ﴿ وَلَنْ نُقَاتِمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ

وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٢) فحبيب إليهم الجهاد في سبيل الله تعالى لأنه طريقهم إلى الشهادة وجات النعيم ، فهذا زيد بن الأزور قد أحب الجهاد فانضم إلى جيش المسلمين المتوجه إلى قتال المرتدين في معركة اليمامة (٣) ، بقودهم خالد بن الوليد. فأبلى زيد في ذلك بلاء عظيماً حتى قطعت رجلاه (٤) ، لكنه ما توقف ولا تردد عن مواصلة الجهاد لأنه رأى في الساعات التي تفصله عن الفوز بالشهادة حياة طويلة، فتقدم يقاتل وهو ينشد (٥):

هَلْ تَأْسَ حَيَوِيَاتٍ (٦) عَنِي مُشْهَدِي      حِينَ أَرَدْتُ الْمَوْتَ أَدْنَى مِنْ يَدِي  
مُلْفَقاً فِي ثَوْبِهِ الْمُسَوَّرِدِ      آخِرُ هَذَا الْيَوْمِ أَقْصَى مِنْ عَدِي

إلى مُلاقاة النبي أحمد

وقد استشهد في ذلك اليوم كثير من المجاهدين الذين دافعوا عن رسالة الإسلام التي أمروا بنشرها ، فاسترخصوا أرواحهم في ذلك لا يُشبههم عن مواصلة الجهاد وقتال الأعداء

(١) الشهيد في الإسلام: ٨٢ ، كيف السيل إلى الله ، الجهاد والشهادة في الإسلام: ٨٣/١٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٧ .

(٣) ارتد أهل اليمامة في سنة ١١ هـ بقيادة مبلغة الكذاب بعد وفاة المصطفى ﷺ ، وكانوا قد بايعوه على الإسلام .

ُنظر: تاريخ خليفة: ٧٢/١ - ٨٢ ، وتاريخ الطبري: ٢٤٣/٣ - ٢٥٤ ، وتاريخ الإسلام (المعاري):

٣٨ - ٤١ .

(٤) يُظر: الإصابة: ٢١/٣ .

(٥) صدر عنه: ٥٦٠/١ .

(٦) لم نجد البحث في المعجم معنى مناسباً لهذه الكلمة (حيويات) ، وقد تكون هذه الكلمة اسماً لامرأة ويكون المعنى كالآتي:

هل ستحزن المرأة التي اسمها (حيويات) على استشهادي حين أرمي بعسي حيا وحرصاً على الشهادة .

ما فقدوا من أعضاء ، بل وجدناهم يفرحون بها لأنها ذهبت في سبيل الله تعالى ، فهذا سليك العقيلي مجاهد قد شارك المسلمين جهادهم في ذلك اليوم ققطعت يده في أثناء قتاله الأعداء<sup>(١)</sup>، فلم يحزن على فقدته إياها بل فخر بما قدمت في سبيل الله تعالى ، فقال<sup>(٢)</sup>:

كَيْفَ تَرَائِي وَأَخِي عَطَّارِدَا      نَدُوْدُ عَنْ حَنِيْفَةَ الْمُدَاوِدَا  
أَنْشُدُ كَفًّا ذَهَبْتَ وَسَاعِدَا      أَنْشِدُهَا وَلَا أَرَائِي وَاجِدَا

إن الدين الجديد الذي دعا إليه وبشر به الرسول الكريم ﷺ قد أخذ مكانه في نفوس المسلمين الذين آمنوا به وجاهدوا في سبيله حتى الموت ، فكانت تعاليمه السمحة تتسرب إلى قلوبهم بلا استئذان ، ومعانيه الصادقة تلامس المشاعر الحسية النابضة بعدما كانت مظلمة خاوية يملؤها الحقد والجيل والظلم<sup>(٣)</sup>، فعلاثة بن وهب صحابي جليل تسرب الإسلام إلى قلبه فأمن بمبادئه وتعاليمه الكريمة فملا عليه نفسه وحياته خيراً وكرامة ، فلم تبهره الدنيا ، ولم يأخذه بريقها ففضل طريق الشهادة على أن يعيش ذليلاً<sup>(٤)</sup>، فبعد أن كان في الجاهلية يئذ البنات أصبح يبحث عن أفضل الأعمال عند الله تعالى ، فقبل له: الجهاد ، فانطلق يجاهد بنفسه والإيمان يملأ قلبه ، وهو يدعو الله تعالى أن يرزقه الشهادة ويلحقه بأولاده الذين استشهدوا قبله<sup>(٥)</sup>، فقال<sup>(٦)</sup>:

أَيَا رَبِّ عَيْسَى دَعْوَةٌ وَمَحْمَدٌ      أَجْبِنِي فَأَلْحِقْنِي بِأَبْقَاهُمَا لِيَا

فاستجاب الله تعالى دعاءه فقتل شهيداً<sup>(٧)</sup>.

(١) يُنظر: الإصابة: ١٦٨/٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ / ١١٣ .

(٤) يُنظر: شعر العقيدة: ١٧٨ .

(٥) استشهد قبله أربعة من أولاده ، وهم: ربيع وعدد الله ، وأبي ، وعظيم . يُنظر: الإصابة: ١١١/٥ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) يُنظر: المصدر نفسه .

إنَّ حُبهم للشهادة والحرص عليها جعلهم يُصرون على مواصلة الجهاد وفتح البلاد وهذا ما أكَّده عمرو بن العاص عندما كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذ أكد له في هذا الكتاب حرص أصحابه على مواصلة الجهاد وأنهم قد قرروا بيع نفوسهم رخيصة في سبيل الله تعالى ، ويأخذون ثمنها ( أمنية عزيزة وغالية وحقاً مفروضاً وسعادة متناهية لا تُعادلها سعادة ) <sup>(١)</sup> ، إنَّها ( الشهادة التي طالما كان المقاتلون يحلمون بها ، وهي الغاية التي يُجاهد المؤمنون للوصول إليها ، وهي أصدق استجابة لدعوة الله المؤمنين إلى الجنة ) <sup>(٢)</sup> ، فكتب عمرو بن العاص هذه الأبيات التي توضح هذا الحرص وهذا البيع ، فقال <sup>(٣)</sup> :

صَوَارِمُنَا تَشْكُو الظَّمَا فِي أَكْفُنَا	وَأرْمَا حُنَا تَشْكُو القَطِيعَةَ كَالهَجْرِ
إِلَيْكَ افْتِقَادُ الحَرْبِ يَا طَيْبَ الشَّامِ	وَيَا مَنْ أَقَامَ الدِّينَ بِالْعِزِّ والنُّصْرِ
فَقَدْ وَلَعْتَ خَيْرَ الكِرَامِ إِلَى العِدَا	بُنُو شَيْبَةَ الحمدِ السري وَبَنُو فَهْرٍ

(١) الشعر والفتوح الإسلامية: ١٠ .

(٢) رثاء شهداء مؤتة في الشعر الإسلامي: ٤٥ ، ( بحث ) للدكتور رشدي علي حسن ، مجلة بحوث جامعة ، حلب ، العدد العاشر ، ١٩٨٧ ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية .

(٣) فتوح الشام: ١/٢٢٠ .

وصالَتْ لُزْيَ مَع مَعْدٍ وَغَالِبٍ      وسادات مخزوم الكرام ذوي الفخرِ  
 تَرُومُ مَسِيرًا لِلْأَعَادِي عَلَى شَفَا      تمكن من أعلاهم البيض كالسُمُرِ  
 تَرَى كُلَّ عِلْجٍ (١) غَانِصٍ فِي دِلَاصِهِ (٢)      تَجْعَجَعُ (٣) فِي نَقْعِ تَأَجَّجٍ (٤) كَالْحَمْرِ (٥)  
 بِكُلِّ كُمَيْتٍ صَادِقِ الْوَعْدِ صَائِلِ      يرى درعه الزاهي تمكن بالصبرِ  
 نَرَى الْمَوْتَ فِي وَقْعِ الْوَقَائِعِ مَغْتَمًا      ونكسبُ مَنْ قَتَلَ الْعَدَا غَايَةَ الْأَجْرِ

فنحن نراهم يستأذنون أمير المؤمنين في أن يسمح لهم كي يواصلوا الجهاد ، لماذا ؟ لأنه طريقهم الذي ينالون به الشهادة في سبيل الله تعالى ، بل إن حبهم للجهاد قد أصمهم عن سماع أي نداء من شأنه أن يحول بينهم وبين الفوز بالجنة (٦) ، فهذا جعيدة بن عبيدة قد لبى نداء الجهاد فأصبح دائم الحضور في جيش خالد بن الوليد في قتال أهل الردة والروم ، فطلبت منه ابنته برقة ولطف القعود عن الجهاد لكنه ما أطاعها فيما تريد ، لأنه إن أطاعها فيما تريد فقد حرم نفسه من فرصة الفوز بالشهادة ، لذلك أقسم أن لا يطيعها حرصاً منه على الشهادة ، فقال (٧) :

تَقُولُ ابْنَةُ الْمَجْنُونِ هَلْ أَلْتِ قَاعِدٌ      وَلَا وَأَبِيهَا حَلْفَةٌ لَا أَطِيعُهَا

(١) الملج: الرجل من كفار العمم ، يُنظر: اللسان: ٣٠٦٥/٤ ( عالج ) .

(٢) دلاصه: درعه . يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٠٩/٢ ( دلص ) .

(٣) تجمجم: أي صرغ . يُنظر: المصدر نفسه: ٦٣٠/١ ( جمب ) .

(٤) تأجج: تصاعد العار كأنه النار الملتته . ينظر: المصدر نفسه: ١٣٠/١ ( أجح ) .

(٥) شبه اضطرام الحرب وتصاعد غبارها خمرة النار أي لهبها . ينظر: المصدر نفسه: ٩٩١/٢ ( حمر ) .

(٦) ينظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٩ ، وشعر الحرب حتى ق١هـ/ ١٢٥ .

(٧) الإصانة: ٢٦٢/٣ .

لقد استمرت قوافل المجاهدين في فتوحاتهم ( وهم يرفعون راية التوحيد ويوطنون أركان الإسلام وينشرون قيم الحق والعدالة والإنسانية )<sup>(١)</sup>، وقد ملأ الإيمان نفوسهم وحبب إليهم الموت أكثر من أي شيء آخر ، وأنساهم علاقاتهم بذويهم الذين يناشدونهم البقاء وعدم الخروج على الرغم من رقة هذه النداءات وصدورها من الآباء<sup>(٢)</sup> ، فعندما تحرك جيش تحرير العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى العراق تعالت صيحات الجهاد، فتعلقت أذان المجاهد شيبان بن المخبل بهذا النداء<sup>(٣)</sup>، فخرج مع جيش سعد ليشارك المجاهدين في جهادهم ، لكن أباه الشيخ الكبير استنشد البقاء معه وترك الجهاد ، فما كان من هذا المجاهد الذي استطاب لذة الجهاد ، واستشعر نشوة التضحية في سبيل نشر الرسالة الإسلامية إلا أنه واصل المسيرة ومضى إلى حيث يريد ، حيث ساحات الوغى التي تنتظر رجالها الكرماء لكي يُرووا بدمائهم الطاهرة تُرابها المتعطش إليه<sup>(٤)</sup>، فهذا والده يُنشد قائلًا<sup>(٥)</sup>:

أَيْمَلِكُنِي شَيْبَانَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ      لِقَلْبِي مِنْ خَوْفِ الْفِرَاقِ دَيْبُ  
وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانَ أَنْ لَمْ يَعْقِنِي      تَعَقْتُ إِذَا فَارَقْتَنِي وَتَجُوبُ

ومثل شيبان بن المخبل السعدي كلاب بن أمية بن أسكر الذي لقي طلحة والزبير فسألتهما أي الأعمال أفضل ، فقالا: الجهاد في سبيل الله ، فسأل عمر بن الخطاب رَضِيَهُ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَ جِيُوشِ الْإِسْلَامِ فَأَرْسَلَهُ عَمْرٌ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ كَبُرَ وَضَعْفٌ<sup>(٦)</sup> ، ولكنه كان يشعر أَنَّ صَوْتَ الْجِهَادِ أَعْلَى مِنْ كُلِّ صَوْتٍ ، وَأَنَّ حُبَّهُ لِلشَّجَادَةِ قَدْ تَرَسَخَ فِي نَفْسِهِ فَسَهِيَ أَكْبَرَ مِنَ الْعَاطِفَةِ الَّتِي تَحَاوَلُ أَنْ تُشَدَّهُ إِلَى الْعُودَةِ ، أَوْ تَقَاوِمَ رَغْبَتَهُ الْأَكِيدَةَ الَّتِي كَانَ يَتَطَلَعُ مِنْ خَلَالِهَا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، فوجد هذه الفرصة في جند سعد بن أبي وقاص حيث الرفقة

(١) شعر الحرب حتى ق ١٥٣/٢٠٣ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤٩ - ٥٠ .

(٣) يُنظر: الإصانة: ٢٢٧/٣ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٧ ، وشعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٠ - ٥١ .

(٥) الإصانة: ٢٢٧/٣ .

(٦) يُنظر: المصدر نفسه : ٦٥/١ .

الصادقة ، والاخوة القائمة على حب الله تعالى ورسوله الكريم (١) ، كما وجد في حرصهم على الاستشهاد دافعا قويا أكد له أن طريق الجهاد فيه الخير العظيم ، عندها أدرك الشيخ أن ابنه الذي أحبَّ الجهاد والاستشهاد لا رجعة له مما دعاه إلى إنشاد شعره الذي أكد فيه ضعفه وعجزه وأنه بأمس الحاجة إلى ابنه ، فقال (٢) :

لِمَنْ شَيْخَانٌ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا      كِتَابُ اللَّهِ إِنْ حَفِظَ الْكِتَابَا  
إِذَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَجٍّ      عَلَيَّ يَبِضَاتِهَا ذَكَرًا كِلَابَا  
تَرَكْتُ أَبَاكَ مُرْعَثَةً يَدَاهُ      وَأُمْلَكَ مَا تَسِيغُ لَهَا شَرَابَا

هكذا هم رجال الجهاد والاستشهاد لا يبالون بأية دعوة تحول بينهم وبين المضي إلى ساحات القتال ، فنراهم يخوضون أهوال هذه الحروب وقد باعوا الدنيا بما عند الله تعالى من الثواب الذي لا يعدله ثواب ، بل إن حبهم للجهاد وحرصهم عليه أنساهم التفكير في سلامة أجسادهم هذا ما جسده لنا أبو محجن النقي عندما شارك المسلمين جهادهم في معركة الجسر (٣) التي دارت الحرب فيها على المسلمين فسقط فيها الكثير من شهداء المسلمين . أما أبو محجن فلم يُرزق الشيادة فيها لكنه لا يلوم نفسه ولا يتهمها بالتقصير في الجهاد ، لأنه قد حرص كل الحرص على الفوز بالشهادة والدليل على حرصه هذا أن الأعداء قد مزقوا برماحهم ثيابه ، وجادت بطون اكفه بالدماء ، أما مهرته فقد نفرت من النيل وخاضرتيا قد جادت بالدماء من كثرة الطعن والضرب ، بل إنه كان آخر من غادر ساحة المعركة بعد أن رأى الشهداء وهم صرعى في ساحة المعركة . إنها إرادة الله تعالى في أن يستشهد رفاقه ويعود هو سالما ، فقال وقت أوضح ذلك كله (٤) :

وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّهَا      إِلَى أَجَلٍ لَمْ يَأْتِهَا وَهُوَ عَاجِلُ  
وَمَا رَمْتُ حَتَّى خَرَقُوا بِرِمَاحِهِمْ      ثِيَابِي وَجَادَتْ بِالْدَّمَاءِ الْأَبَاجِلُ

(١) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٢ .

(٢) الإصابة: ٦٥/١ .

(٣) كانت للمعركة على العرب سنة ١٣ هـ . يُنظر: تاريخ الطبري: ٦٧/٤ - ٧٠ ، والكامل في التاريخ: ٢٣٨/٢ -

٤٤٠ ، ومعجم البلدان: ٥٨/٣ ، وأبواب العرب في الإسلام: ٢٣ - ٢٣٣ .

(٤) درونه: ٢٢ - ٣٣ نشره وقدم له د. صلاح الدين السعد .

وَحَتَّى رَأَيْتُ مُهْرَبِي مُزَوَّزَةً      لَدَى الْفِيلِ يَدْمَى لِحُرِّهَا وَالشَّوَاكِلُ  
وَمَا رُحْتُ حَتَّى كُنْتُ آخِرَ رَانِحٍ      وَصُرِّعَ حَوْلِي الصَّالِحُونَ الْأَمَائِلُ

وهذا عبد الله بن سبرة الحرشي قد خرج مجاهداً مع إخوانه المجاهدين ضد الروم<sup>(١)</sup>، وفي يوم فلطاس<sup>(٢)</sup> تبارز مع أربطيون الروم فقطعت يده اليمنى التي لم يجزع لفقدها بل استهان لأمرها مؤكدا حرصه على الشهادة فتمنى أن يكون مع يده التي قُطعت فينال الراحة، راحة الشهادة في سبيل الله<sup>(٣)</sup>، فقال<sup>(٤)</sup>:

يُمْتَنِي يَدِي غَدَتْ مِئِّي مُفَارِقَةً      لَمْ اسْتَطِعْ يَوْمَ فِلْطَاسٍ لَهَا تَبَعًا  
وَمَا ضَنْتُ عَلَيْهَا أَنْ أُصَاحِبَهَا      وَلَقَدْ حَرَّصْتُ عَلَيَّ أَنْ نَسْتَرِيحَ مَعَا

بهذا الحرص على الشهادة اندفع المجاهدون يواصلون سيرهم الجهادي وهم يحملون راية التوحيد ويرفعونها عالية، ( ويتفانون في حبهم لها، ويكافحون مستميتين في نشرها وبسطها على رقعة الكون، لا يبخلون عليها بجهد أو بدم )<sup>(٥)</sup>، فكلهم ( على رغبة وحنين إلى الجنة، وباستيانة نادرة بالحياة، يتمثلون الآخرة بنعيمها وظلالها وكأنهم يرونها رأى العين ويطيرون إليها متغنين بما وعدوا من جنان تحت ظلال السيوف )<sup>(٦)</sup>، فهذا عروة بن زيد الخيل قد خرج مجاهداً في ركب جيش المسلمين إلى معركة نهاوند<sup>(٧)</sup>، خرج يريد الشهادة بعد أن أصبح الجهاد همّة الوحيد في الحياة فلا دنيا يريدها، ولا أموالاً يُريد اكتنازها بل هي الشهادة<sup>(٨)</sup>، فقال<sup>(٩)</sup>:

(١) يُسر: الإصابة: ٦٠/٥ .

(٢) لم نجد لها ذكراً في معجم ما استعجم أو معجم اللدان .

(٣) يُسر: شعر الفتح الإسلامية: ٢٥٠، ويُسر: شعر العقيدة: ١٧٥ .

(٤) الأمازي: ٤٧/١ أبو علي الفاي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، الإصابة: ٦٠/٥ .

(٥) من قصايا الأدب الإسلامي: ٦١، د. صالح آدم ينو .

(٦) شعر الفتح الإسلامية: ٣٢ .

(٧) كانت للمسلمين على الفرس سنة ٢١هـ، وهاوند من بلاد الفرس قرب همدان . يُسر: تارخ الطبري: ٢٣١/٤ -

٢٤٦، ومعجم اللدان: ٤٠٩/٨ .

(٨) يُسر: الإسلام والشعر: ٩٥، د. سامي مكّي العاني .

(٩) الأخبار الطوال: ١٥٧، أحمد بن داود الدهبوري، تحقيق فلاح جرحاس .

وَأَصْحَحَ هَمِّي فِي الْجِهَادِ وَنَيْتِي      فَلَلَّه نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتْ  
فَلَا تَرَوُةَ الدُّنْيَا تُرِيدُ اكْتِسَابَهَا      أَلَا إِنَّهَا عَن وَفَرِهَا قَدْ تَجَلَّتْ  
وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ كَنُوزِ جَمْعَتِهَا      وَهَذِي الْمَنَايَا شُرْعًا قَدْ أَظَلَّتْ

لقد جسّد لنا مجاهدو هذا العصر ومن خلال أشعارهم التي أنشدوها وهم يجوبون ساحات القتال حُبهم لطريق الجهاد في سبيل الله تعالى ، لأن هدفهم من الجهاد لم يكن مادياً لأجل كسب مغنم أو الاستيلاء على أرض جديدة<sup>(١)</sup> ، وإنما لأجل إعلاء راية الإيمان التي أمرهم الله تعالى بتبليغها للناس كافة<sup>(٢)</sup> ، كما إنَّ الجهاد في سبيل الله هو طريق المؤمنين إلى الفوز بالشهادة . وبفضل حُبهم لهذا الطريق وتمسكهم به استحقوا نصر الله تعالى لهم حينما أذل لهم رقاب المرتدين والكافرين ، وفتح على أيديهم بلدانهم فدخلوها وادخلوا إليها نور الإسلام وعدالته السمحة .

#### ٤ . الفوز بالجنة :

جاهد المسلمون المؤمنون ﷺ مع رسول الله ﷺ في جميع مغازيه ، وواصلوا الفتوحات مع خلفائه الراشدين ﷺ ، فشهدوا معارك طاحنة أثبت فيها المسلمون صدق إيمانهم ، فرسموا أجمل صور الفداء والتضحية وأروعها وهم يجوبون ساحات المعارك حاملين أرواحهم على أكفهم غير أبيين بمال أو ولد ، أو زوجة ، أو دنيا فانية لأنهم يبخون ما عند الله تعالى ، وما عند الله خير وأبقى ، فعنده الجنة التي وعد بها لمن يُقتل في سبيل إعلاء كلمته العليا ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . هذا التقديس وهذا التكريم لمنزلة الشهادة عند الله تعالى كان لها الأثر الكبير في نفوس المؤمنين ، الذين تسابقوا إلى نيل الشهادة ، والفوز بثمرتها الجنة ، وتتجلى لنا هذه الرغبة الحقيقية في طلب الشهادة ، في أول لقاء بين الفريقين ، وذلك عندما خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه ، وابنه الوليد بن عتبة ، فدعا عتبة للمبارزة

(١) يُنظر: تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدارلة الاموية ٢٣ - ٢٤ تأليف المستشرق الانساي يوليس منهور ، نقله عن الألمانية وعلق عليه د. محمد عبد الهادي أبو ريده ، راجعه د. حسين مؤنس ، ويُنظر: العقيدة والشريعة في الإسلام: ٣٥ ، ترجمة د. محمد يوسف موسى ، ود. علي حس عبد القادر ، ود. عبد العزيز عبد الحق .

(٢) يُنظر: صموة التفسير: ١٢٧/١ .

فخرج إليه فتية من الأنصار ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث <sup>(١)</sup> ، وعبد الله بن رواحة ، لكن عتبة لم يقبل بهم وإنما أراد من قومه من يبارزهم ، عندها قال رسول الله ﷺ : قم يا عبدة <sup>(٢)</sup> ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فخرجوا ﷺ ، طائعين لأمر رسول الله ﷺ على رغبة وحنين إلى ما عند الله من اجر عظيم ، أعدّه الله تعالى لمن ظفر بالنصر أو فاز بالشهادة وهم إليها أحوج ، فيتبارز الفرسان وتمكن حمزة من قتل عدوه وكذلك علي ، فظفرا بالنصر ، ولم يبق إلا أبو عبدة ، فقد كان يتبارز مع عتبة بن ربيعة ، فتبادلا ضربتين: ضربة عبدة قتلت عتبة ، أمّا ضربة عتبة فقد قطعت رجل عبدة <sup>(٣)</sup> ، التي بشرته بدنوه وقربه من الشهادة ، بل إن حبه للشهادة أنساه مصابه في رجله ، فالمسلم حين ( يُضرب بالسيف في سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه ، فما يُحسبها إلا كأنها قبل أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه ) <sup>(٤)</sup> ، ففرح بها واحتسبها عند الله تعالى ، فهو عندما خرج إلى المبارزة كان يبغى الشهادة في سبيل الله تعالى ، فتضمن له الجنة ، لكن يبقى سؤال وهو ما الذي حمل هذا المجاهد على الشهادة ؟ . إن الذي حمل هذا القائد على اختيار الشهادة عدة أسباب: فهي أولاً سوف تضمن له الجنة مع الحور العين ، فلا حاجة له في هذه الحياة الدنيا التافية التي لا قيمة لها ، ثم إنه يرجو كرم ربه وعونه حين هذاه للإسلام ، فغضى كل عيوبه وسنئاته السابقة ، فما هو يجمع ذلك كله ، فيقول <sup>(٥)</sup>:

فَإِنْ تَقَطُّعُوا رِجْلِي فَبِئْسَ مُسْلِمٌ      أُرْجِي بِهَا عَيْشاً مِنْ اللَّهِ دَائِماً  
مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ التَّمَائِلِ أَخْلِصَتْ      مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِماً

(١) من ما الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد بن مالك بن عبيد بن مالك بن الحارث الأضراري ، شهد بدرًا مع أخوهما معد ، وأمه عمراء بنت عبدة بن ثعلبة بن غنيم ابن مالك بن الحارث . يُنظر: الإستيعاب: ١٢٢٥/٣ - ١٢٢٦ ، وإصابة: ٤٣/٥ و ١٢٩/٦ .

(٢) هو عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي فظلي . كان اسماً من رسول الله ﷺ بعدد سنين . يُنظر: الإستيعاب: ١٠٢٠/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٢٠٩/٤ .

(٣) بُعْر: لسيرة النبوة: ٢٧٧/٢ .

(٤) وحى القلم: ١٦/٢ ، مصطفى صادق الرافعي .

(٥) سيرة النبوة ٢٥/٣ ، الروض الأبد: ٣٣٠/٥ ، البداية والنهاية: ٣٣٧/٣ ، شعراء الرسول: ٢٦٣ ، وليد الاعضي .

وَبِعَتْ بِهَا عَيْشًا تَعْرَقَتْ صَفْوَهُ      وَعَاجَلَتْهُ حَتَّى فَقَدَتْ الْأَدَانِيَا  
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنْهُ      بَثْرُبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا

فهلك عليه السلام من مصاب رجله ، ففاز بالشهادة في سبيله تعالى التي طالما حرص عليها ، وبعد هذا الانتصار في المباراة ، ألتحم الجيشان فتهاقت المسلمون المجاهدون في قتال الأعداء وهم ينشدون الشهادة والفوز بما أعدّه الله للشهداء من أجر عظيم <sup>(١)</sup> ، فأصبح ( الاستشهاد غايتهم ومَنَاهُمْ لأنه سبيل لبقاء عقيدتهم التي حرصوا عليها ، أكثر من حرصهم على أرواحهم ) <sup>(٢)</sup> ، فهذا كعب بن مالك يوضح لنا ذلك فقال <sup>(٣)</sup> :

وَحَنُّ أَنَا سٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً      عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَّارَ وَيَمْتَنِعُ  
وَلَكِنَّا نَقْلِي الْفِرَارَ وَلَا نَرَى الْ—      فِرَارَ لِمَنْ يَرْجُو الْعَوَاقِبَ يَنْفَعُ

فكانوا عليهم السلام يستهينون بالموت في سبيل حُسن الثواب ، لا يعرفون معنى للهزيمة ولا يرضونها ، بل يُقدِّمون الأرواح رخيصة في سبيل نيل الشهادة <sup>(٤)</sup> ، فيسأل عوف بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله: ما يُضحكك الربّ تبارك وتعالى من عبده ، قال: " أن يراد قد غمس يده في القتال يقاتل حاسرا ، فنزع عوف ذرعه ثم تقدم فقاتل حتى قُتِلَ <sup>(٥)</sup> . فخالص المسلمون يوم بدر بنفوس مطمئنة بقدر الله تعالى ، ومؤمنة بأن الموت مصير كل حي ، لذلك فضلوا الشهادة في سبيله تعالى .

فكانت نفوسهم تتوق إلى الجنة ونعيمها المقيم ، ففي كل معركة نراهم يُجسدون هذا العشق لها ، فعندما التقى الحزبان مرة أخرى ، حزب الإيمان وحزب الإلحاد ، كان حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء حتى اظهر في تلك اليوم ( فداء وتضحية لا نظير لهما بين المجاهدين ) <sup>(٦)</sup> ، فقد اثبت حُبّه الصادق للشهادة عندما تقاسم

(١) يُنظر: الشهادة والشهيد في شعر صدر الإسلام: ٤ ، ( بحث ) لندكتور سامي مكى العلي ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العدد الخامس والثلاثون ، ٢٠٠٠ .

(٢) العروسية في أدب القرن الأول الهجري: ٣٦ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، بغداد ، عادة حرر حبيب ، ١٩٨٣

(٣) ديوانه: ١٨٤ .

(٤) يُنظر: شعر المتوح الإسلامية: ٣٢ .

(٥) سس البيهقي: ٩٩/٩ .

(٦) دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٢٢ .

نحو الأعداء يقاتلهم ومعلما نفسه بريشة وضعها في صدره ، فنَصَرَ الله تعالى ، وَنَصَرَهُ تعالى ، وَنَصَرَهُ تعالى لحمزة ليس نصراً مادياً على الأعداء بل نصراً معنوياً ، إنه نصر الشهادة في سبيل الله ، والشاهد على ذلك ما أثبتته كعب بن مالك في حق هذا الشهيد ، فقال (١):

وَأَتَى الْمَيْمَنَةَ مُعَلِّمًا فِي أُسْرَةٍ ۖ  
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهِدُ

فلم يضر المسلمين استشهاده حمزة شيئاً ، لأنه قُتِلَ شهيداً في سبيل الله تعالى فأدخله تعالى جنان الخلد ، فتسابق شعراء المسلمين إلى تأكيد هذا الذي ظفر به حمزة ، فهذا حسان بن ثابت يثبت هذه المنزلة له في معرض رده على ابن الزبيرى فقال (٢):

فَإِنْ تَذَكَّرُوا قَتْلِي وَحَمَزَةَ فِيهِمْ ۖ  
فَقَبِيلُ ثَوَى اللَّهِ وَهُوَ مُطِيعُ  
فَإِنْ جَنَّانِ الْخُلْدِ مَنْزِلُهُ بِهَا  
وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ

وهذا عبد الله بن رواحة الشاعر المجاهد وهو قد حضر هذه المعركة وشهد بدماء قبلها ، يبين لنا عظيم منزلة حمزة التي نالها باستشهاده ( وليعزز في نفوس المسلمين عوامل الاندفاع والتضحية ) (٣) ، فقال (٤):

عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبُّكَ فِي جِنَانٍ ۖ  
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَسْزُولُ

وهذه صفية بنت عبد المطلب ( أخت حمزة ) تؤكد لنا ثواب حمزة عند الله تعالى لدرجة أنه تعالى قد دعاه إلى جنان الخلد والنعيم الذي لا يزول ، وهذا الجزاء وهذه المنزلة التي أعدها تعالى لحمزة هو ما كانت تتمناه لحمزة ، لأنها مؤمنة كل الإيمان بان شقيقها حمزة قد ثوى شهيداً عند الله تعالى ، فلم يذهب دمه الذي سال في معركة أحد هدراً ، بل كان له

(١) ديوانه: ١٦٠ .

(٢) ديوانه: ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٣) الجهاد في شعر عصر الرسالة : ١١٩ ( بحث ) للدكتور ايمن عباس القبسي ، مجلة آداب بغداد ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

ثمن غالٍ عنده تعالى ، لأنه في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ، والعبودية لله سبحانه وتعالى ،  
تم الفوز برفيع الدرجات وبرضوان الله تعالى (١) فقالت (٢):

دَعَاهُ إِلَهَ الْخَلْقِ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً      إِلَى جَنَّةٍ يَرْضَى بِهَا وَسْرُورِ  
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرْجِي وَنُرْتَجِي      لِحَمْزَةِ يَوْمِ الْحَشْرِ خَيْرَ مُصِيرِ

لقد فاز حمزة بالشهادة فهي راحة له ، ومن ينالها فقد نال رضا الله تعالى ، وهذا ما أثبتته  
حسان بن ثابت لإمامة (٣) بنت حمزة بن عبد المطلب عندما جاءت تسأل عن قبر أبيها ،  
فقال لها حسان (٤):

تَسَائِلُ عَنْ قَرْمٍ هِجَانَ سَمِيدِعٍ      لَدَى الْبَاسِ مِغْوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ  
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّهَادَةَ رَاحَةٌ      وَرِضْوَانُ رَبِّ يَا أَمَامَ غُفُورِ

ومن الذين نالوا شرف الشهادة في تلك المعركة ووجبت لهم الجنة ، غسيل الملائكة  
حنظلة (٥) ، فقد التقى أبا سفيان فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب فقتله ،  
فقال رسول الله ﷺ : "إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة" (٦) . إن هذه كرامة  
عظيمة ومنزلة رفيعة أعدها الله تعالى لهذا الشهيد ، فكان لها أثرٌ في نفوس المجاهدين  
الذين تسابقوا لنيل شرف الشهادة والفوز بجنان الخلد ، فكان النعمان بن مالك (٧) ممن  
أحب الشهادة ورغب فيما عند الله تعالى فسلك طريق الشهداء ، حتى رزقه تعالى الشهادة

(١) يُنظر: دراسات في ادب الدعوة الإسلامية: ٢٥٦ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام: ١٠٥ ، د. ليلى محمد ناظم الخيالي .

(٣) يُنظر: الإصابة: ١٣/٨ .

(٤) ديوانه: ١٣٣ ، ونسب الفصيحة إلى صمية . يُنظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٥) هو حنظلة بن أُل عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس  
الأصاري الأوسي ، قتل يوم أحد شهيداً ، وسمي غسل الملائكة لأنه قد ألم ناهله عندما خرج إلى أحد . يُنظر:  
الإستيعاب: ٣٨٠/١ - ٣٨١ ، والإصابة: ٤٤/٢ .

(٦) البيان والتعريف: ٢٨٦/١ . ابراهيم بن محمد الحسيني .

(٧) هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج ، شهد بدرًا واحدًا ، وقتل يوم  
أحد شهيداً ، يُنظر: الإستيعاب: ١٥٠٤/٤ - ١٥٠٥ .

التي أوجبت له الجنة فلحق باخوته - حمزة وحنظلة - فكلهم قُتِل في سبيل الله ، فهذا كعب بن مالك يُبين لنا صدق هؤلاء في طلب الشهادة والجنة التي فاز بها فقال (١):

فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرّاً بَلَاءً      عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَحْجَرْجْ  
وَنُعْمَانُ أَوْفَى بِمِثَاقِهِ (٢)      وَحَنْظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُحْتَجْ (٣)  
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ      إِلَى مَرْزَلٍ فَأَخْرَجَ الزَّبْرَجَ (٤)

فالشهيد رفيع المنزلة عند الله تعالى ، فهو النور الذي يُضيء للحرية دربها ، وللامة طريقها ، وهو الذي تحفه الملائكة وتطوف عليه بالروح والريحان جزاء بما قدّم من تضحية في سبيل الله تعالى (٥) ، وهذه المنزلة العظيمة التي أعدها الله تعالى للشهداء ، وبنها ورغب فيها النبي ﷺ كانت حافزاً ودافعاً قوياً لشعراء المسلمين الذين وجدوا في هذه المنزلة سلاحاً قوياً يجاهدون به أهل الكفر والشرك وأهلها الذين فخرُوا بمقتل المسلمين المجاهدين (٦) ، فكانت أشعار المسلمين أشد وقعاً على العدو من نضح النبل (٧) ، فكان النصر حليف المسلمين في هذه المنازعة لإيمانهم الصادق بأن قتلهم شهداء ، ومن قُتِل شهيداً فإن مثواه الجنة ، هذا ما أكدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في رثائه لشهداء يوم أحد ، فقال (٨):

وَمَنْ قَتَلْتُمْ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ      مِنَّا فَقَدْ صَادَفُوا خَيْرًا وَقَدْ سَعِدُوا  
لَهُمْ جَنَّاتٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَيِّبَةٍ      لَا يَعْتَرِبُهُمْ بِهَا حَرٌّ وَلَا صَرْدٌ

(١) ديوانه: ١٥٨ .

(٢) قال العماد بن مالك لرسول الله ﷺ والله ما رسول الله لادخس الجنة فقال له: { م ؟ } فقال: بان اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ، واي لا أير من الرحمن ، قال: { صدقت } ، فقتل يومئذ . يُنظر: الإحتساب:

١٥٠٤/٤ - ١٥٠٥ .

(٣) بفتح : لم يصرف عن وجهه الذي أراده من الحق . يُنظر: اللسان: ١٠١٩/٢ ( حجج ) .

(٤) الريح: الوشي . يُنظر: المُصنّف نفسه: ١٨٠٦/٣ ( ربرج ) .

(٥) يُنظر: الشعر في زمن الحرب: ١٥٨ .

(٦) يُنظر: طغيات فحول الشعراء: ٢١٧/١ ، ويُنظر: من أدب الدعوة الإسلامية: ٢٦ عباس الحراري .

(٧) يُنظر: المُصنّف نفسه .

(٨) ديوانه: ٦٢ ، جمعه وشرحه عمير رزوزر .

صَلَى إِلَهَهُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا ذُكِرُوا      قَرَبَ مَشْهَدٍ صِدْقٍ قَبْلَهُ شَهِدُوا  
 أما قتلى أهل الكفر والإلحاد فإن مصيرهم إلى النار ، فكان هذا المصير المحتوم  
 سلاحاً قد استوحاه الإمام علي عليه السلام ورد به على هند بنت عتبة التي أظهرت فرحها  
 وشماتها بمقتل حمزة ، فأجابها عليه السلام أن لا تفخر ولا تفرح ، بل تحزن على قتلاهم يوم  
 بدز ، يوم نال منهم سيف حمزة ، أما هو فيفرح لمصير حمزة لأنه نال الشهادة في سبيل  
 الله مع الشهداء الأبرار الذين أسكنهم الله تعالى الجنة فهي جزاؤهم ، أما قتلى الكافرين  
 فمصيرهم إلى الجحيم ، فقال الإمام (١):

أَتَانِي أَنَّ هِنْدًا أَخْتًا صَخْرٍ      دَعَتْ دَرْكَاءَ وَبَشَرَتِ الْمُتُودَا  
 فَإِنْ تَفَخَّرَ بِحَمْزَةٍ حِينَ وَلَى      مَعَ الشَّهْدَاءِ فَحَسَبًا شَهِيدَا  
 فَإِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَوْمَ بَدْرٍ      أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ وَالْوَلِيدَا  
 وَشَيْئَةً قَدْ قَتَلْنَا يَوْمَ ذَاكُم      عَلَى أَثْوَابِهِ عُلِقَ جَسِيدَا  
 قَبَوْنِي مِنْ جَاهَنَّمَ شَرَّ دَارٍ      عَلَيْهَا لَمْ يَجِدْ عَنْهَا مَحِيدَا

( فالجنة خالدة لا تفتنى ، وكذلك النار ، وأهل كل منهما مخلدون ، لا يدرِكهم الموت

ولا يلحقهم الفناء ) (٢) ، وهذا ما أكده كعب بن مالك إذ يقول (٣):

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ تَأْوِيًّا      أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدًا

فالفرق بينهما كبير واسع ، لأن جيش الإسلام يقاتل في سبيل الله تعالى وهدفه إعلاء  
 كلمة لا إله إلا الله ، وجيش الكفر الذي تعددت عنده الآلهة الزائفة ، فهذا كعب بن مالك  
 يبيّن ذلك فيقول (٤):

لَيْسَا سَوَاءً وَشَيْءٌ بَيْنَ أَمْرِهِمَا      حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلِ الشُّرْكِ وَالنُّصْبِ

(١) الزمعة: النصف الثاني ، ٤٠ ، للأصفهاني تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ود. نوري القيسي ، ديوانه: ٧١ .

(٢) العفائف الإسلامية: ٣٠٧ ، السيد سابق .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) ديوانه: ١٥٠ .

فمن كان في جيش الكفر وَقِيلَ كانت النار مثواه ورزقه في الجحيم ، أمّا من كان في جيش الإيمان فَقِيلَ فقد فاز بالجنة التي وعدهم الله تعالى بها ، فهذا كعب بن مالك يعود مرة أخرى لكي يرد بها على مشركي قريش الذين فخرُوا بمقتل المسلمين ، فيجيبهم أن هؤلاء القتلى يحق للمسلمين الفخر بهم لأنهم حلُّوا في جنان واسعة ، لكن هؤلاء ما تركوا بيضة المسلمين دون حماية لها ، بل أبقوا لها أسوداً تحميها وتذود عنها ، فقال (١):

أَلَا أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَائِبِهَا      أَنْفَخَرُ مِثْلًا لَمْ تَلِي  
فَخَرْتُمْ بِقَتْلِي أَصَابَتْهُمْ      فَوَاصِلُ مِنْ نَعْمِ الْمُفْضِلِ  
فَحَلُّوا جَنَاتًا وَأَبَقُوا لَكُمْ      أَسْوَدًا تُحَامِي عَنِ الْأَسْبَلِ

ولم تكن منزلة الشهداء وكرامتهم عند الله تعالى سلاحاً بيد شعراء المسلمين وحدهم، بل كانت سلاحاً عند غيرهم من المجاهدين الأبطال فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أكد هذه المنزلة العظيمة لشهداء المسلمين ، وذلك عندما دارت أمد ، فاتجه المسلمون يومئذ إلى الجبل ، فلحق بهم أبو سفيان وصرخ بأعلى صوته قائلاً (٢):

أَلْعَمْتُ فَقَالَ      إِنَّ الْحَرْبَ سِجَالُ  
يَوْمَ يَوْمٍ يَلِدُ      أَعْلَ فُجُلِ

أي ظهر دينك ، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب: قم فأجبه فقال عمر (٣):

اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ      لَا سَوَاءَ  
قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ      وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ

إن هذه المنزلة وهذه الثمرة العظيمة كان لها أثرها وصددها في نفوس المؤمنين فهذبها وشوقها إلى ما عند الله تعالى ، لذلك نراهم يتسابقون إلى أي فرصة سانحة تقربهم إلى الفوز بالجنة ، فإيا هو وفد الرجيع (٤) الذي أرسله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى بعض أحياء

(١) ديوانه: ٢٠١ .

(٢) السر والمعاري: ٣٣٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) وفد الرجيع: مجموعة من المشاهدين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رهط عسل والقارة ليعلمهم الإسلام وتعاليمهم وذلك في السنة الثالثة لهجرة ، فغفروا لهم جميعاً وهم: مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن الكوكب الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي

العرب لكي يعلموهم الإسلام ويدعوهم إليه ، وفي الطريق غدروا بهم وقتلوهم ، وما قتلوا إلا في سبيل الله تعالى ، في سبيل نشر دين الإسلام الذي ارتضاه لهم فآلوا الشهادة ، وَمَنْ يَنْأَلِ الشَّهَادَةَ يَسْتَوْجِبُ لَهُ كَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَثَوَابُهُ ، أَلَا وَهُوَ جَنَّاتُ الْخُلْدِ ، فَقَالَ حَسَانٌ مُثَبِّتًا لَهُمْ هَذَا الْجِزَاءَ (١):

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا      يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأَثِيَسُوا

وكان خبيب بن عدي في ركب هذا الوفد فصدق مع الله تعالى عندما خيروه بين الكفر أو الموت ، فاختر الشهادة في سبيل الله تعالى التي أدخلته جنَّة الخلد عند الحور العين (٢) ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا هذا الأجر والثواب الذي ناله خبيب فقال (٣):

عَلَى خَبِيبٍ وَفِي الرَّحْمَنِ مَصْرَعُهُ      لَا فَئِيلَ حِينَ تَلَقَّاهُ وَلَا نَزِقِ  
فَأَذْهَبَ خَبِيبٌ جِزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً      وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِي الرَّفْقِ

وقال أيضا (٤):

صَبْرًا خَبِيبٌ فَإِنَّ الْقَتْلَ مَكْرَمَةٌ      إِلَى جَنَّاتِ نَعِيمٍ يَرْجِعُ النَّفْسُ

وهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه قد أكرمه الله تعالى بالشهادة من مصابه يوم الخندق (٥) ، إذ أبقاه تعالى إلى أن أراه هلاك بني قريظة فمات عندها شهيداً في سبيل الله تعالى (٦) ، الذي سيُدخله جنات طيبات . فهذا كعب بن مالك يردُّ على ضرار بن الخطاب الذي شمت

(١) الاقنح ، وخبيب بن عدي ، وريد بن الدثة ، وعد الله بن طارق . يُنظر: السيرة النبوية: ١٧٨/٣ - ١٨٥ ، وطبقات ابن سعد: ٥٥/٢ - ٥٦ ، وتاريخ الطبري: ٢٩/٣ - ٣١ ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٦٤١/٢ للبركي الأندلسي ، ومعجم البلدان: ٣٩١/٤ - ٣٩٢ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٢٣٠ - ٢٣٥ ، والبداءة والنهاية: ٦٢/٤ - ٦٩ ، وأيام العرب في الإسلام: ٥١ - ٥٥ .

(٢) ديوانه: ١٧٩ .

(٣) يُنظر: السيرة النبوية: ١٨٢/٣ .

(٤) ديوانه: ٢١٣ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٢٧ .

(٦) يُنظر: تفاصيل هذه العروة في السيرة النبوية: ٢٢٤/٣ - ٢٤٣ ، وطبقات ابن سعد: ٦٥/٢ - ٧٤ ، وتاريخ الطبري: ٤٣/٣ - ٥٢ ، والكمال في التاريخ: ١٧٨/٢ - ١٨٤ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٢٨٣ - ٣٠٥ ، والبداءة والنهاية: ٩٢/٤ - ١١١ .

(٦) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٨/٣ - ٢٦٢ .

بمقتل سعد ، فأجابه كعب: أن ذلك لا يضره شيئا لان الله تعالى سيدخله جنات الخلد مع الصالحين من عباده ، فقال (١):

فَأَمَّا تَقَاتِلُوا سَعْدًا سَفَاهًا      فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ  
سَيُدْخِلُهُ جَنَّاتًا طَيِّبَاتٍ      تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ

إن سعداً ما قاتل لأجل سمعة أو لمغنم بل قاتل وقُتِلَ في سبيل الله تعالى حباً في الجنة ، فأورثه تعالى إياها مع من سبقه من الشهداء فنعم هذا المصير ، هذا ما أثبتته حسان بن ثابت ، فقال (٢):

قَتِيلٌ تَوَى فِي مَعْرِكَ فُجِعَتْ بِهِ      عُيُونٌ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةِ الْوَجْدِ  
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَرِثَ جَنَّةً      مَعَ الشُّهَدَاءِ وَقَدْ هَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ  
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتَ بِمَشْهَدِ      كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ  
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدُّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأُولَى      شَرُوا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّتِهِ الْخُلْدِ

ومن الذين أكرمهم الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم فوجبت لهم الجنة نفيح ورافع ،

فلحقا بسعد وأصحابه إلى جنات الخلد ، هذا ما أثبتته حسان فقال (٣):

تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَاقَتَتْ      بَنَاتُ الْحِشَاءِ وَأَهْلُ مِنِّي الْمَدَامِعُ  
صَبَابَةً وَجَدِ ذَكَّرْتَنِي أَحَبَّةً      وَقَتْلَى مَضَوْا فِيهِمْ نَفِيعٌ وَرَافِعٌ (٤)  
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ      مَنَازِلُهُمُ وَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ

وفي كل معركة لجيش الإسلام كان لنا فيينا شهداء أبرار فازوا برضا الله تعالى فجزاهم جنات النعيم ، ففي مؤتة كان لنا في أمراء رسول الله ﷺ نماذج رائعة في الفداء والتضحية في سبيل الله ، فتقدموا يبحثون عن الفوز بجنات الخلد لما علموا من عظيم

(١) ديوانه: ٢١٦ .

(٢) ديوانه: ٤١٥ .

(٣) النضر نغمه: ٢٦٧ .

(٤) تم يجد الباحث في كتب تراجم الصحابة ذكراً هذين الاسمين ، ولكن ورد في السيرة النبوية ذكر طفيل بدلا من نفيح ، وطفيل هذا هو ابن العمان بن حسان الأنصاري السلمي ، شهيد العقبة ، وشهد بدرأ ، وأحدأ ، وعاش حتى شهد الخندق وقتل بروميا شهيداً . ينظر: الإنبعاث: ٧٦٢/٢ - ٧٦٣ .

أجرها وكرامة منزلتها ، فكان إقدامهم ( دليلاً على قوة الإيمان التي أنست المؤمنين حياتهم وأهليهم فباعوها لله مشترين بها الجنة ونعيمها )<sup>(١)</sup> ، فهذا زيد بن حارثة يحمل راية النبي ﷺ ويندفع ( في صدر العدو ، وهو مؤقن بأن ليس من موته مفر ، ولكنّه مؤقن بأن الموت هو الشهادة في سبيل الله ، وأن الشهادة هي الجنة ، وليس الاستشهاد ودخول الجنة دون الظفر والنصر مكانا )<sup>(٢)</sup> ، فقاتل حتى نال الشهادة ، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فتقدم الصفوف وطيف الجنة أمام عينيه ، ف شعر بدنوها منه ، وقربه إليها حتى كأنه رآها وما فيها من نعيم ، فأنشد<sup>(٣)</sup>:

يَا حَبْذَا الْجَنَّةُ وَأَقْتِرَابُهَا      طَيِّبَةٌ وَبَارِدًا شَرَابُهَا

فمضى يُقاتل الأعداء ويخترق الصفوف وهو يتشوق إلى الجنة التي شغلت تفكيره ، فأصبحت شغله الشاغل فما زال على حاله هذه حتى سقط شهيداً في سبيل الله تعالى ، فنال الجنة التي طالما تمنّاها وأحبها ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا صدق جعفر في قتال الأعداء ، وحب وحرصه على الفوز بالجنة فقال<sup>(٤)</sup>:

فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ      بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ الْقَنَا يَتَكَسَّرُ  
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ      جَنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ

فأرواح الشهداء في الجنة في جوف طير تزد من أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش<sup>(٥)</sup> ، إنها منزلة عظيمة ونعيم يفوق الخيال أعدّه رب العز والجلال لمن باع نفسه في سبيل الله ، لذلك نجدهم حريصين كل الحرص على الظفر بها ، فإذا ما نادى مناد من المبارز ؟ وجدتهم يشقون الصفوف للقاء العدو ، ففي إحدى معارك فتوح الشام بين المسلمين والروم ، دعا أحد قادة الروم للقتال ،

(١) دور الشعر في معركة الدعوة أيام الرسول: ٤١٥ .

(٢) مكة والمدينة في الحاضرة وعهد الرسول: ٥١٣ ، د. احمد إبراهيم الشريف .

(٣) السيرة النبوية. ٢٠/٤ ، الروص الأنف: ١٥/٧ ، الكامل في تاريخ: ٢٣٦/٢ ، غاية الارب في فنون الادب: ٢٨٠/١٧

احمد عبد الوهاب النويري . سير أعلام النبلاء: ٢١٠/١ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ( المعاري ):

٤٨٣ ، البداية والنهاية: ٢٤٤/٤ ، حياة الصحابة: ٥١/١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) يُنظر: صحيح مسلم: ١٥٠٢/٣ ، وسنن أبي داود: ١٥/٣ ، والمستترك على الصحيحين: ٩٧/٢ .

فقال عمرو بن العاص: يا معشر العرب من يخرج إليه ويهب نفسه لله ﷻ ، فخرج إليه رجل من بين المسلمين وهو يقول: أنا أكون ذلك . فقال عمرو: بارك الله فيما تريد ، فحمل الرجل للمسلم واستقبله عدو الإسلام فجعلا يتبادلان الضربات حتى جرح الرجل المسلم ، لكنه ما تراجع عن بغيته فشد جراحه وخرج إلى لقاء عدو الإسلام ، فناداه ابن عم له أن خذ هذه البيضة واجعلها على رأسك ، فقال: تقتي بالله اعظم من حديدك ، فمضى نحو عدو الإسلام وقد أقسم أن يدخل الجنة فقال (١):

يَقُولُ لِي عِنْدَ الْخُرُوجِ لِلْقَا      دُونَكَ هَذَا السَّرْسَ فَاجْعَلْهُ رَقَا  
مِنْ عِلْجِ سُوءِ قَدِّ بَعِيٍّ وَقَدْ طَغَى      أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ يَمِينًا صَادِقَا  
لَا تَرَكْنَا الْبَيْضَ فَوْقَ الْمُرْتَقَى      وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ دَارَ الْمُلتَقَى

فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا: اللهم اعطه ما تمنى ، فحمل على جيش الروم وقتل رجلا وجندل أبطالا ، ولم يزل كذلك حتى قتل " رحمه الله تعالى " ، فقال عمرو: هذا رجل اشترى الجنة من الله تعالى بنفسه ، اللهم اعطه ما تمنى .

إن نعيم الجنة وظلالها كان غاية كل مسلم وهو يقاتل الأعداء بكل شجاعة حتى يفوز بهذا النعيم ، الذي أصبح طيفا جميلا يراود خيالهم ، فهذا سيف الله المسلول يقود أحد جيوش المسلمين في فتوح الشام ويقول: والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ، فانطلق نحو أعداء الإسلام واخذ ينشد شعرا بين فيه حرصه على قتالهم وتشتيت جمعهم ، عسى الله تعالى أن يرزقه الشهادة التي توجب جنة الخلد فيلحق عن سبقه إليها ، فقال (٢):

الْيَوْمَ يَوْمٌ فَازَ مَنْ صَدَقَ      لَا أَرْهَبُ الْمَوْتَ إِذْ الْمَوْتُ طَرَقَ  
لَأَرْوِينَ الرَّمْحَ مِنْ ذَوِي الْحَدَقِ      لَاهْتَكِنَنَّ الْبَيْضَ هَتَكًا وَالسَّدْرَ  
عَسَى أَرَى غَدًا مَقَامَ مَنْ صَدَقَ      فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَالْقَلَى مَنْ سَبَقَ

(١) نوح الشام: ٢٤/٢ .

(٢) بنظر المصدر نفسه : ٢٤ / ٢ - ٤١ .

وهذا غلام من المسلمين يقول لأبي عبيدة: أيها الأمير إنني أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الإسلام ، وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلني أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك ، وإن كان لك حاجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرني بها ، فبكى أبو عبيدة وقال: أقرئ رسول الله ﷺ وأخبره أنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، ثم دفع الغلام جواده وحمل يريد الحرب ، فخرج إليه علاج من الروم قد قام من بين الرجال على فرس أشهب ، فلما رآه الغلام قصده وقد احتسب نفسه في سبيل الله تعالى ، ويرجو الفوز بجنة الفردوس، فقال (١):

لَا بُدَّ مِنْ طَعْنٍ وَضَرْبٍ صَائِبٍ      بِكُلِّ لَدُنِّ وَحُمَامٍ قَاضِبٍ  
عَسَى أَنْالَ الْفُوزَ بِالمَوَاهِبِ      فِي جَنَّةِ الْفِرْدُوسِ وَالْمَرَاتِبِ

أما سالم بن بُجَيعة الكلابي فقد اختاره عمرو بن العاص لكي ينقل كتابه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخذ ناقته واستوى عليها وفي الطريق أخذ ينشد شعراً بين فيه مدى حبه للشهادة والفوز بجنة الخلد فقال (٢):

أَسِيرُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَمَانٍ      وَأَرْجُو الْفَوْزَ فِي غَرْفِ الْجَنَانِ  
وَأَرْجُو أَنْ يُقَرَّبَ لِي اجْتِمَاعِي      وَأُعْطَى مَا أُرِيدُ مِنَ الْأَمَانِي

لقد أصبحت الجنة ونعيمها الدائم باعاً قوياً حمل المقاتلين على بذل الأرواح سخية في سبيل الله ونيل الشهادة ، وفي كل معركة يخوضون غمارها يزداد حرصهم عليها ، فالقعقاع بن عمرو التميمي كان من مجاهدي جيش القادسية ، فقد كان يتقدم الصفوف وكأنه يبحث عن شيء مهم: نعم إنه يبحث عن الشهادة التي تحولت في ذهنه إلى سعادة ما بعدها سعادة وكله شوق إليها ، وفي قتاله في ذلك اليوم تتضح لنا ( قيمة الاستشهاد التي كان يتمناها ويرجوها بعد أن يؤدي دوره ، ويختتم أعماله بالصالحات ، ويجاهد في الله حق جهاده ) (٣) ، فقال (٤):

(١) فتوح الشام: ١٨٨/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٠/٢ .

(٣) شعراء إسلاميون: ٢١ ، د. نوري حمودي القيسي، ويُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٩٠ .

(٤) تاريخ الطبري: ١٢٢/٤ ، شعراء إسلاميون: ٣١ - ٣٢ .

أَزْعَجُهُمْ عَمْدًا بِهَا إِزْعَاجًا      أَطْعَنُ طَعْنًا صَائِبًا تُجَاجَا  
أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَّةِ أَفْوَاجَا

وفي هذه المعركة قُتل الكثير من فرسان الفريقين ولكن شتان ما بين قتلى الفريقين، فقتلى الكافرين مثواهم الجحيم ، أما قتلى المسلمين فهم في جنان الفردوس ، لأنهم استجابوا لنداء الرحمن إذ دعاهم ، فهذا أحد المسلمين يدعو الله تعالى أن يجزيهم جنات الفردوس ، ودعاؤه هذا جاء من إيمانه الصادق بأن من يُقتل في سبيل الله فإن مثواه الجنة، فقال (١):

جَزَى اللهُ أَقْوَامًا بِجَنْبِ مَشْرِقِ      غَدَاةَ دَعَا الرَّحْمَنُ مَنْ كَانَ دَاعِيَا  
جِنَانًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ وَالْمَتَرْلِ الَّذِي      يَحُلُّ بِهِ مِ الْحَيْرِ مَنْ كَانَ بَاقِيَا

إن ما تقدم ذكره من نماذج رائعة جسّنت لنا حرص مجاهدي هذا العصر على الشهادة والفوز بجنات الخلد التي أعدها المولى ﷻ لشهادته الأبرار ، فكانت الجنة وما تزال باعثاً قويا لرجال الإسلام في كل زمان ومكان إلى قتال أعداء الإسلام ، لكي ينالوا الشهادة ويفوزوا بالجنة .

(١) معجم البلدان: ٢٦٩/٨ .

## المبحث الثاني صفات الشهيد

### ١. الشجاعة:

لقد عرف العرب بشجاعتهم وبطولتهم في ساحات الوجود ، إذ كانوا يكرمون الشجعان ويتفاخرون بهم <sup>(١)</sup> ، ولأهميتها - الشجاعة - غدت من الصفات الخلقية الأساسية المكملة لشخصية الإنسان ، ( بل هي أم الخصال وينبوع فضائل الكمال ) <sup>(٢)</sup> ، وجعلها قدامة بن جعفر في سنة أقسام ، هي : ( الحماية والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامة الموحشة والقفار ، وما أشبه ذلك ) <sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر لنا العرب قبل الإسلام من خلال أشعارهم كثيرا من الصفات التي يعرف بها الشجاع ، فقالوا : ( إنه الذي لا تروعه الأهوال ، ... ، ولا يترحزح عن مكانه مهما أهدقت به ، بل يستقبل الموت بصدر رحب ، ويضحى بنفسه في سبيل مبادئه التي يعتقدونها ) <sup>(٤)</sup> أو ( من أجل تسجيل المجد القبلي ) <sup>(٥)</sup> . ( و يرى القتل شرفا ومجدا في سبيل ذلك ، ويرى الفرار خزيا وعارا ، يتلقى الطعنات في صدره ووجهه ، ويأنف أن تصيبه في ظهره ) <sup>(٦)</sup> .

تَأَخَّرْتُ أَسْبَقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ      لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ  
فَلَدُّنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا      وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا <sup>(٧)</sup>

كما أنهم كانوا مطيعين لأسيادهم طاعة عمياء ، فكل قبيلة لها رجالها الأشداء ، فإذا ما داهمتها الخطوب ، خرج رجالها وكلهم عزيمة وقوة ، وقد أحكمتهم كثرة الحروب

(١) ينظر: البطل في التراث العربي: ٣١ - ٣٢ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٢) فصول في الامرة والامر : ٢٢ ، سعيد حوى .

(٣) نقد الشعر : ٩٨ ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٤) شعر الحرب في العصر الجاهلي : ٩٠/١ ، د. علي الجندي .

(٥) شعر الحرب حتى في ١هـ : ٦٥ .

(٦) شعر الحرب : ٩٠/١ ، د. علي الجندي .

(٧) الحسين بن حمام المري : ديوان الحامسة : ٦٢ ، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

بتجاربها <sup>(١)</sup>، لكن هذه الصفات على كثرتها لم تكن دفاعاً عن عقيدة ، وإنما كان أغلبها حماية للوجود الشخصي وحفظاً للنفوذ الذاتي <sup>(٢)</sup>، وما زال الأمر على حاله هذا حتى بزغ فجر الإسلام بولادة المصطفى ﷺ وبولادته ولد جيل جديد حمل رسالة عظيمة إلى العالم أجمع ، فأنكر ما أنكره الله تعالى ، وأبقى ما رضىه تعالى فكانت الشجاعة مما رضى عنها الإسلام ، وجعل منها سلاحاً قوياً يتسلح به المسلمون فحث الباري ﷻ رسول الله الكريم ﷺ أن يُعرض المسلمين على قتال الكافرين ، وأن يقاتلهم بشدة ، حتى يعرف الكافر مدى شجاعة المسلم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> . كما حث الرسول الكريم ﷺ على الاتصاف بالشجاعة ، فقال: " إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حيه " <sup>(٤)</sup> ، فكان لهذا الحث وهذا الإصرار أثر واضح في نفوس شهداء صدر الإسلام ، فكانوا أشجع الناس وأحرصهم على قتل الكافرين ، وكيف لا يكونون شجعاناً وقاندهم ونبيهم ﷺ كان أشجع الناس كافة ، فهذا الإمام علي عليه السلام يخبرنا عن شجاعته فيقول: ( كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطِيئُ وَأَشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ نَتَقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَيْسَ رَجُلٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ) <sup>(٥)</sup> ، فساروا على هديه وسلكوا نهجه وتأثروا بشجاعته ، فاصبحوا أسوداً على الكافرين ، يدافعون عن الإسلام والمسلمين . وأول محطة لنا في شجاعة هؤلاء الشهداء الأبرار ، محطة الهجرة النبوية الشريفة يوم أن خرج عبد الله بن الحارث <sup>(٦)</sup> مهاجراً في سبيل الله تعالى تاركاً

(١) يُنظر: شعر الحرب ١/٩٠ ، د. علي الخدي .

(٢) الشهيد في الإسلام: ٣٢ ، كيف السبيل إلى الله ( الجهاد والإستشهاد في الإسلام ) : ٥٧/١٦ .

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣ .

(٤) حلية الأرباب وطبقات الأصفياء: ١٩٩/٦ أحمد بن عبد الله الإصنهالي ، تفسر القرطبي: ١/٣١٥ ولم نجد لهذا الحديث تخرجاً في كتب الحديث .

(٥) تصور في الإمرة والأمير: ٢١ .

(٦) هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي استشهد بالطائف ، وقيل بل

استشهد باليمامة . يُنظر: الإصابة: ٥٢/٤ .

وراءه ما يملك ، فأرض الله واسعة ، مُلبيًا نداء رسول الله ﷺ وهو بهجرته هذه يحرض  
الذين استنابوا البقاء في ديار الشرك والكفر ، فقال (١):

أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً      تُنْجِي مِنَ الذُّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهُونِ  
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ وَخِجْزِ      فِي فِي الْمَمَاتِ وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونِ  
إِنَّا نَبَغْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَطْرَحُوا      قَوْلَ النَّبِيِّ وَعَالُوا فِي الْمَوَازِينِ

ومن هجرة النبي ﷺ إلى معركة بدر الكبرى ، التي أعلنت تحولاً جديداً في تاريخ  
المسلمين فهي اليوم ليست حرباً لطمع أو ثأر ، وإنما حربٌ جديدة قوامها العقيدة التي  
دخلت قلوب المجاهدين وشدت سواعدهم ، وحركت فيهم كل نوازع التضحية والفداء (٢) ،  
ولم يكن طريق الشهادة سهلاً بل كان صعباً ، سلاحه العقيدة الراسخة والشجاعة الصامدة  
، حتى يفوز بجنة الله تعالى ، فقال ﷺ مذكروهم بذلك: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ  
وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْمُومِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُوِّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَيِّ تَصْرُ اللَّهُ ﴾ (٣) وقال "عليه الصلاة والسلام": " ألا إن سلعة الله غالية  
ألا إن سلعة الله الجنة " (٤) فخرج جيش الرسول ﷺ مسلحاً بالعقيدة التي أنارت دروبهم  
وألهمتهم العزيمة والبأس في مواجهة الشرك والطغيان (٥) ، ( فشعروا لأول مرة بقدرتهم  
وهي تتوحد وبجهودهم وهي تتوجه نحو إعلاء كلمة الحق لتكون هي العليا ) (٦) ، فسجلت  
لنا غزوة بدر أروع أمثلة الفداء والتضحية والإخلاص والشجاعة فهي الغزوة التي فرق

(١) السير والمعاري: ٢٢١ ، السيرة النبوية: ٣٥٤/١ ، الإصابة: ٥٢/٤ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤ .

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢١٤ .

(٤) سنن الترمذي: ٣٣٣/٤ ، المستدرک علی الصحیحین: ٣٤٣/٤ .

(٥) يُنظر: من سفر الإيمان والإرادة في الشعر وأثرهما في تحقيق النصر ، ( مقالة ) للدكتور ابهم عباس القيسي ، جريدة

القادسية ، صفحة ثقافة ( ٥ ) ، الأحد: ٢٠٠٢/٢/٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٥ .

الله بها بين الحق والباطل<sup>(١)</sup>، ومن هؤلاء الشجعان الذين فرق الله تعالى بهم بين الحق والباطل ، عبدة بن الحارث الذي أظهر من الشجاعة والجرأة ما جعله يستحق لقب الشجاع ، ( فقد قسم أهل التجارب الرجل إلى ثلاثة: فارس ، وشجاع ، وبطل فالفارس الذي يشد إذا شدوا ، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيه ، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولوا )<sup>(٢)</sup> ، فهذا كعب بن مالك يثبت لنا شجاعة عبدة التي استحقها في ذلك اليوم ، فقال<sup>(٣)</sup>:

جَرِيءُ الْمُقَدَّمِ شَاكِي السَّلَاحِ      كَرِيمُ النَّاتِي طَيْبِ الْمَكْسِرِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ كَانَ بَحْمِي غَدَاةَ الْقِتَا      لِحَامِيَةِ الْجَيْشِ بِالسَّيْرِ<sup>(٥)</sup>

ومن غزوة بدر إلى غزوة أحد ، التي خرجت إليها قريش في ثلاثة آلاف مقاتل<sup>(٦)</sup>، وهي تشد العزم للأخذ بنار قتلاها ، وخرج إلى لقائها رسول الله ﷺ في سبعمائة مجاهد، فأصحاب رسول الله لا يقاتلون بعبدة ولا بعدد ، وإنما يقاتلون بالإيمان الخالص لله ، والاستشهاد من أجل الحق<sup>(٧)</sup>، غير مُبالين بفكرة الموت أو الخوف منه ، فقد علموا أن خير الموت أن يُقتل المسلم في ساحة الجهاد<sup>(٨)</sup>.

(١) يُنظر: بشارات النصر في غزوة بدر: ٧٤ (مقالة) د. محمد السيد طنطاوي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، العدد السادس ،

السنة الأولى ، ١٣٨٨ - ١٩٦٩ .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣/٢٢٠ .

(٣) ديوانه: ١٦٨ .

(٤) شاكي السلاح: حاد السلاح . يُنظر: اللسان: ٤/٢٣١٤ (شكا) .

(٥) حامية الجيش: أخرهم الذي يحميم . يُنظر: المصدر نفسه: ١٠١٤/٢ (حما) .

(٦) يُنظر: تاريخ اليعقوبي: ٤٠/٢ . وتاريخ الإسلام (المغازي) : ١٦٥ .

(٧) يُنظر: اتجاهات جديدة في شعر الحرب في القرن الأول الهجري: ٢٨٧ (بحث) للدكتور نوري حمودي القيسي ، مجلة

آفاق عربية ، ع ٨ ، السنة السابعة ، ١٩٨٢ .

(٨) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

فاقتتل الفرسان حتى حميت الحرب<sup>(١)</sup>، (وتصافحت السيوف) <sup>(٢)</sup>، وتبادل الفريقان طعنات الرماح وضربات السيوف، فهذا الصحابي المجاهد كعب بن مالك يصور لنا ذلك المشهد، فيقول <sup>(٣)</sup>:

فَجِنْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَّهُ      أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْنَعُ  
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَكُنْ نَصِيَّةً      ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ  
نَغَاورَهُمْ تَجْمِرِي الْمَيْتَةَ بَيْنَنَا      نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرَعُ<sup>(٤)</sup>  
تَهَادَى قِسِي النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ      وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقْطَعُ

فأنبت صحابة رسول الله شجاعتهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ ومن هؤلاء الشجعان أسد الله الغالب حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فقد زاد عن الإسلام والمسلمين بكل شجاعة عرفتها ساحات القتال، فهذا وحشي يصف لنا شجاعته في ذلك اليوم فيقول: ( والله إنني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يُبقي شيئاً مثل الجمل الأورق ) <sup>(٥)</sup>، ولم يكن الشعر غائباً عن هذه المعركة ولا عن غيرها، بل هو في حضور دائم يوثق الأحداث ويصور الأحاسيس والمشاعر، مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم الذين استطابوا القتال في سبيل الله تعالى وما أن سقط أسد الله شهيداً حتى تسابق الشعراء إلى رثائه وإبراز شجاعته التي عرف بها، ولا نقصد بالرثاء هنا الرثاء الجاهلي القائم على أسلوب الجزع والنواح بل هو رثاء آخر، ( فرثاء الشهداء لون جديد لم يألفه الشعر العربي من قبل ) <sup>(٦)</sup>، فقد أصبح الرثاء سلاحاً مهماً من أسلحة الدعوة الإسلامية، لأنه يُمدد مسيرة الشهداء الأبرار الذين باعوا النفوس رخيصة في سبيل الله تعالى، ويثير في نفوس المجاهدين الشجاعة والعزم

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٧٢/٣ .

(٢) شهداء الإسلام في عصر النبوة: ١٥ د. علي سامي النشار .

(٣) ديوانه: ١٨٢ .

(٤) نغاورهم: نداولهم، ونشارعهم: أي نشارعهم. ينظر: اللسان: ٣٣١٤/٥ (غور) و ٢٢٢٨/٤ (شرع) .

(٥) السر والمغازي: ٣٢٩، والسيرة النبوية: ٧٤/٣ .

(٦) رثاء شهداء مؤتة في الشعر الإسلامي ( بحث ): ٤٥، د. رشدي علي حسن. مجلة بحوث جامعة طابع-١٠-١٩٨٧

على قتال الأعداء ، متخذاً من هؤلاء الشهداء نماذج رائعة في الشجاعة فيدعوهم إلى الاقتداء بهم والحرص على السير في الطريق الذي قُتلوا من أجله<sup>(١)</sup>.

فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا شجاعته وجهاده ، فيعدد مواقفه الشجاعة التي لا ينساها كل مسلم ، فقد كان حمزة فارس المسلمين وحمييم من أعدائهم ، قال حسان<sup>(٢)</sup>:

مَنْ كَانَ فَارِسًا وَحَامِيًا إِذَا بَعَثَ الْمَسَالِحَ

وهو عتاد كل حرب جاهز لها ، فقال<sup>(٣)</sup> :

وَلَمَّا يَنْوُبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهِيَ لَاقِحٌ

يُدافع عن المسلمين بيده ولسانه ، يرد كيد الأعداء إذا ما اشتدت الخطوب على

المسلمين ، فكان صَلَّى أسد الله المدافع عن الرسول والمسلمين ، قال حسان<sup>(٤)</sup>:

يَا فَارِسًا يَا مِدْرَهًا يَا حَمْرًا قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحَ

عَتَا شَدِيدَاتِ الْخُطُوبِ إِذَا يَنْوُبُ لَهْنٌ فَادِحٌ

ذُكِرْتِي أَسَدَ الرَّسُولِ وَكَانَ مِدْرَهَنَا الْمُنَافِحَ

وهو مقاتل خبير بأمر الحرب ، كسبته كثرتها وظروفها وأحوالها هذه الخبرة ، يترك أعداءه يتعثرون بالرمح لسرعته في القتال ، ( فجو يغشى الخيل وفرسانها حين

نكوصها على أعقابها كأنه الليث الباسل في غاباته)<sup>(٥)</sup> ، قال حسان<sup>(٦)</sup>:

التَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى قِرْنِهِ يَعْتُرُ فِي ذِي الْخُرْصِ الدَّابِلِ<sup>(٧)</sup>

وَاللَّابِسِ الْخَيْلَ إِذَا أَحْجَمَتْ كَاللَّيْثِ فِي غَابَاتِهِ الْبَاسِلِ

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى ١٥١ هـ / ٥٦ .

(٢) ديوانه: ٤٥٠ .

(٣) بصر: المصدر نفسه: ٥١٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) شرح ديوان حسان بن ثابت: ص ٢٨٦ اقامش ، د. عبد الرحمن البرقوقي .

(٦) ديوانه: ٣٢١ .

(٧) ذو الخرص: الرمح ، الخُرس: سانه ، يُنظر: اللسان: ١١٣٣/٢ ( مادة خرص )

الدابل: الرقيق . يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٨٨/٣ ( ذبل ) .

إن ساحات المعارك التي خاض على أرضها أسد الله المعارك الحاسمة ضد أعداء الإسلام دليل على شجاعته ، فقد نال سيفه من عتبة بن ربيعة وهو من أمياد مكة يوم الفرقان يوم بدر ، وغيره من مشركي قريش ، فأكد حسان هذا الماضي المجيد ، وهذه الشجاعة عندما استحضرها ليرد بها على هند بن عتبة عندما شمتت بمقتل الشهيد الشجاع حمزة ، فقال حسان (١):

وَكَاَنَّ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُدْرَأِ	لَمْ يَكُ بِالْوَأْنِيِّ وَلَا الْخَاذِلِ
لَا تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَأَسْتَحْلِي	دَمْعًا وَأَذْرِي عَبْرَةَ الشَّاكِلِ
وَأَبْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَعَهُ	بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
إِذْ خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ	مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ
أَرْدَاهُمْ حَمَزَةٌ فِي أُسْرَةٍ	يَعْمُونَ تَحْتَ الْحَلْقِ الذَّائِلِ

وهذا كعب بن مالك يؤكد شجاعة حمزة ، فقد رآه يوم أحد وهو يصرخُ شجاعان قريش الكافرين مطروحين على الأرض ، وقد بدا له وهو مكتمل العدة الحربية كأنه أسد مفترس غليظ ، وقد امتلأت أكتافه بالشعر ، فقال (٢):

وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدِّلاً	يَوْمَ الْكَرْبِيهِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ (٣)
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ	ذُو لِبْدَةٍ شُنُّ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ

وهو بطل الحروب الطويلة ، هذا ما وصفه به كعب بن مالك فقال (٤):

فَقَدْ كَانَ عِزًّا لَا يَتَامِنَا	وَلَيْتَ الْمَلَّاحِمَ فِي السِّبْرَةِ
------------------------------------	--

إن شجاعة حمزة في قتاله أعداء الإسلام جعلت منه نموذجاً رائعاً في الشجاعة يتردد على لسان كل من عرف وأدرك شجاعته ، فصفية بنت عبد المطلب - أخته - عرفت

(١) ديوانه: ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) ديوانه: ١٦٠ .

(٣) يتقصد: يتكسر . يُنظر: اللسان: ٣٦٤٣/٥ (قصد) .

(٤) ديوانه: ١٧٥ .

شجاعة أخيها ودفاعه عن الإسلام ضد المشركين الكافرين ، فهي لا تتسى شجاعته ، فقد كان خيراً أخ لها ، وخير نصير للإسلام والمسلمين ، تقول صفية (١) :

تَسَائِلُ عَنْ قَوْمِ هِجَانَ سُمَيْدِعٍ      لَدَى الْبَاسِ مِغْوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ  
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَهَا      يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلِّ كَفُورِ  
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيِّ بِهَلِكِهِ      جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ

وكان حمزة مطيعاً لله ورسوله ، وكانت غايته من جهاده وقاتله الأعداء أن ينال رضا الله تعالى ورسوله الكريم ، ( فطاعة الله ورسوله مع خشية الله وتقواه أدب رفيع ، ينبئ عن مدى إشراق القلوب بنور الله ، واتصاله به ، وشعوره بهيبته ، كما ينبئ عن عزة لقلب المؤمن واستعلائه ) (٢) ، قال كعب (٣) :

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدٍ      وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وكان لاستشهاد حمزة رضي الله عنه أثر في نفوس المسلمين الذين تأثروا بشجاعته وصولته على الأعداء ، فواصلوا الجهاد ضد الأعداء بكل شجاعة وقوة (٤) ، فهذا عبد الله بن سلمة (٥) ممن واصل جهاد الأعداء يضربهم بكل شجاعة ، فهو عربي أصيل يعرف معنى الشجاعة يطعن برمحه المستوي الأعداء حتى ينثني ، وما انتشاؤه إلا دليل شجاعته ، فقال مردداً في قتاله الأعداء (٦) :

أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَلَى      أَطْعُنُ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْثَنِي  
وَلَا يَرَى مِجْدَرًا يَفْرِِي فِرَى

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ ، وديوانها: ٨٨ ، جمع وتحقيق د. نيلي محمد ناظم الحيايلى ، مجلة الورد العدد الأول ، ١٩٩٩ .

(٢) في ظلال القرآن: جلد: ١١٧/١٨/٦ سيد قطب .

(٣) ديوانه: ١٧٥ .

(٤) بظن: دراسات في الأدب الإسلامي: ٢٢٣ .

(٥) هو عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الحد بن حارثة بن ضبيعة البلوي ثم الأنصاري ، شهد بدرًا وقبيل يوم أحدًا شهيداً . بظن: الإستيعاب: ٩٢٣/٣ ، والإصابة: ٨١/٤ - ٨٢ .

(٦) الإصابة: ٨٢/٤ .

لقد أظهر صحابة رسول الله ﷺ في ذلك شجاعة وتضحية لا نظير لهما ، وقد يقول قائل: إن شجاعة شهداء المسلمين التي صورها شعراء المسلمين مبالغ فيها لما لصدمة استشهادهم من اثر في نفوسهم ، فاخذوا يعظمون من شأنهم ويعلمون مكانتهم بين المسلمين؟ والجواب عن هذا القول ، نقول إن شجاعة المسلمين ليس فيها شيء من التعظيم والتهويل ، وإن كان دليل القائل على هذا التعظيم والتهويل أنها صادرة من شعراء المسلمين ، فنقول إن شجاعة المسلمين ما أشاد بها ولا عرفها المسلمون فقط ، بل حتى أعداء الإسلام اعترفوا بهذه الشجاعة وعدوها مفخرة لهم في قتل هؤلاء الشجعان ، فهذا عبد الله بن الزبير يقول في ذلك (١):

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ      مَا جَدِ الْجَدِّينَ مِقْدَامَ بَطْلٍ  
صَادِقِ التَّجْدَةِ قَسْرَمٍ بَارِعٍ      غَيْرَ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ (٢)

ومن غزوة أحد إلى يوم الرجيع إذ أثبت لنا وفد رسول الله ﷺ شجاعتهم في قتال أعداء الإسلام الذين غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم القبائل فأرادوا أسرهم ، فأبوا ذلك ، فقال لهم عاصم: والله لا أقبل من مشرك عيدا ولا عقداً أبداً فيذا الرد يعلمنا قوة ثباته وعظيم صبره ، فيمر قد عاهد الله من قيل على الصبر فأخذ سيفه وجعل يقاتل أعداءه وهو يرتجز قائلاً (٣):

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلَدٌ نَابِلٌ      وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ غُنَابِلٌ (٤)  
تَزَلُ عَنِّ صَفْحَتُهَا الْمَعَابِلُ      الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ  
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَيْهِ نَازِلٌ      بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءِ إِلَيْهِ آئِلٌ (٥)

إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمِّي هَابِلٌ

(١) السيرة النبوية: ١٤٣/٣ .

(٢) بارع: البرز على غيره . يُنظر: اللسان: ٢٦٠/١ (برع) .

الأسل: الرماح . يُنظر: انصهر نفسه: ٨٠/١ (أسل) .

(٣) السيرة النبوية: ١٧٩/٣ ، الروض الأنف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٤) غنابل: شديد غليظ . يُنظر: اللسان: ٣١٢٠/٤ (غنبل) .

(٥) حم الإله: قدره ، والئ: صائر ، يُنظر: اللسان: ١٠٠٦/٢ (حم) .

فهو مؤمن بالله ورسوله ، وبحتمية الموت على العباد ، وبقدرة الله تعالى خيره وشره . ومؤمن هذا حاله لا يمكن أن يتردد لحظة في قتال أعداء الإسلام ، وقد جعل من نفسه جندياً يدافع عن دين الإسلام ، فاستمر في قتاله إياهم ، وهو يردد (١) :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرَيْشُ الْمُقْعَدِ      وَصَالَةٌ مِثْلَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ  
إِذَا التَّوَجَّاهِي أَفْتَرِشْتَ لَمْ أَرْعُدْ      وَمُجَنَّا مِنْ جِلْدِ ثَوْرِ أَجْرَدِ (١)

ومؤمن بما على محمد

وكان عاصم رامياً جيداً ، وقد نال من مشركي قريش يوم أحد ، فاستنكر فعله بهم وأصالة قومه ، متخذاً ذلك حافزاً له في قتالهم ، فقال (٢) :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي      وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كِرَامِي

فاستمر في قتاله لهم حتى استشهد هو وصاحبه رضي الله عنهما (٤) ، ولم يكن الشعر بمنأى عن هذه الشجاعة ، بل أسهم في توثيقها وتأكيدتها وجعل منها نبراساً يهتدى به المجاهدون من بعد ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا شجاعته إذ أبى أن ينزل على عهدهم فقاتل حتى قُتل دون أن يُمكنهم من ظيره (٥) ، فقال (٦) :

وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ      كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكُسُوبُ  
مَنَعَ الْمَقَادِفَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ      حَتَّى يُجَالِدَ إِلَهُ لَتَجِيبُ

لقد صدق مع الله تعالى ونصر دينه فنصره الله تعالى ، فعاصم قد عاهد الله تعالى بأن لا يمس مشركاً أبداً (٧) ، فوفى بما عاهد حتى قُتل ، فنصره الله تعالى وذلك أن عاصماً كان قد قتل أحد المشركين يوم أحد ، فنذرت أم المقتول أنها إن قدرت على رأس عاصم

(١) السيرة النبوية: ١٧٩/٣ ، الروض الأنف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٢) المنهاج: الترس لا حديد فيه . يُنظر: اللسان: ٦٩١/١ (جأ) .

(٣) السيرة النبوية: ١٨٠/٣ ، الروض الأنف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٤) صاحبه هم رند بن أبي مرثد ، وعالده بن البكير ، يُنظر السيرة النبوية: ١٧٩/٣ .

(٥) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٨٥ المفاصل .

(٦) ديوانه: ١٧٩ .

(٧) يُنظر: السيرة النبوية: ١٧٩/٣ ، وتاريخ الإسلام (المغاري): ٢٣٣ .

لَتَشْرَبَنَّ فِي قَحْفِهِ الْخَمْرَ ، فعندما أرادوا قطع رأسه الشريف حمته الدُّبْرَ ، فلما حالت بينه وبينهم ، قالوا: إِنَّ الدُّبْرَ سَتَذْهَبُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ ، فَبِعَثَ اللهُ وَجْهَكَ مَطْرَأً جَاءَ بِسَيْلِ فَحْمَلِهِ ، فلم يُعْلَمَ مكانه أبداً<sup>(١)</sup> ، إنه نصر الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ويصور لنا حسان هذا النصر لعاصم جزاءً على ما أبداه من شجاعة في نصر دين الله تعالى ، فقال<sup>(٣)</sup>:

فَسَوْفَ يَرُونَ التَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ  
أَبَابِيلُ دَبْرٍ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ  
وَقَالَ<sup>(٤)</sup>:

قَتِيلٌ حَمَتُهُ الدُّبْرُ حَوْلَ بِيوتِهِمْ  
لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَخَفَاءِ

وممن أثبت شجاعته في ذلك اليوم واستحق الذكر والثناء خبيب بن عدي ، فهو ليس جباناً ولا ضعيفاً ، بل هو فتى الفتیان ، فلنستمع إلى حسان بن ثابت وهو يصف ذلك ، فقال<sup>(٥)</sup>:

عَلَى خَيْبٍ فِي الرَّحْمَنِ مَصْرَعُهُ  
لَا فَشِلَ جِئِن تَلَقَّاهُ وَلَا نَزِقِ  
وَقَالَ أَيْضًا<sup>(٦)</sup>:

لِئَلَّ كَانَ فِي الدَّارِ قَوْمٌ ذُو مُحَافَظَةٍ  
وَإِذَا حَلَلَتْ خَيْبٌ مَسْرَلاً فَسَحَا  
حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاضٍ خَالَهُ أَنْسُ  
وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ الْكَبْلُ وَالْحَرَسُ

(١) يُنْظَرُ: السيرة النبوية: ١٨٠/٣ ، والإستيعاب: ٧٨٠/٢ ، والروض الآنف: ١٦٤/٦ ، والمتظم في تواريخ الملوك والامم

: ٧٣٦/٢ عبد الرحمن بن علي الجوزي ، وتاريخ الإسلام ( المغازي ) : ٢٣٣ .

(٢) سورة محمد : الآية ٧ .

(٣) ديوانه : ٥١٣ .

(٤) المنصر نفسه : ٤٠٦ .

(٥) المنصر نفسه : ٢١٣ .

(٦) المنصر نفسه : ٢٢٧ .

ولما علموا شجاعته وبسالته ، وهو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر <sup>(١)</sup> ،  
لجأوا إلى الغدر والخيانة فعملهم هذا يدل على جبنهم ، ويدل ويؤكد في الوقت نفسه على  
شجاعة خبيب ، قال حسان <sup>(٢)</sup> :

دَلُّوكَ غَدْرًا وَهُمْ فِيهَا أَلُو خُلْفٍ      وَأَلَتْ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبِسُ

وقال أيضا <sup>(٣)</sup> :

أَجْرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجْرْتُمْ غَدْرْتُمْ      وَكُنْتُمْ بِأَكْثَابِ الرَّجِيعِ لَهَا ذِمًّا <sup>(٤)</sup>

وقال <sup>(٥)</sup> :

هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ      أَمَا تُتُّهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَمَكَارِمِ

وقال <sup>(٦)</sup> :

هُمْ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خَيْبًا      فَبَيْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبُ

ومن يوم الرجيع إلى بدر الموعد <sup>(٧)</sup> ، إذ تواعد الجيشان على الخروج والإلتقاء في  
المكان الأول نفسه الذي شهد شجاعة المسلمين ونصرهم وجبن الكافرين وهزيمتهم فخرج  
جيش المسلمين طائعا ، لأنه اعتقد بان ( سمو الواجب الذي خرجوا من أجل إحقاقه ،  
وقدسية المهمة التي أنيطت بهم قد جعلتهم لا يأبهون بالأخطار ، ولا يلتفتون إلى  
الصعوبات التي كانت تعترض مسيرتهم ) <sup>(٨)</sup> ، لكن الأخير لم يحضر إلى بدر ، وكيف  
يحضرون وهم قد شهدوا شجاعة المسلمين وبسالتهم في المكان نفسه ، فقال المجاهد عبد  
الله بن رواحة قولا عبر فيه عن شجاعة أصحاب رسول الله ﷺ واستعدادهم للقاء

(١) يُنظر: الإيتاع: ٤٤٠٧/٢ .

(٢) ديوانه: ٢٢٢٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٨ .

(٤) للمهادم : اللصوص وقطاع الطرق . ينظر اللسان : ٤٠٨٦/٥ (فدم) .

(٥) ديوانه : ٥١٣ .

(٦) المصدر نفسه : ١٧٣ .

(٧) بُصر: السيرة: ٢٢٠/٣ ، ويُنظر: تاريخ الإسلام ( المعاري ) : ٢٥٠٠ .

(٨) حيد في شعر عمر الرسالة : ١٢٠ .

أعدائهم ، فاستذكر شجاعة أسد الله حمزة في يوم بدر يوم أن قتل عتبة بن ربيعة  
ومصرع أبي جهل ، فقال (١):

فَأَقْسَمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا      لَأَبْتُ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتُ الْمَوَالِيَا  
تَرَكَنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ      وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَنَاهُ ثَاوِيَا

إن من خلق الفارس العربي الشجاع الذي يخوض غمار المعارك الضارية، ويبارز  
فرسان أعدائه وينتصر عليهم ( أن يعترف بقوة خصمه ، ويشهد له بالثبات في المعركة  
والصبر على مصائبها واحتمال عواقبها ، ويؤدي إعجابته في بعض الأحيان ... وهو لا  
يذم الخصم بما ليس فيه ، ولا يُجرده من صفات الفروسية الحقة ، لأن في ذلك عيباً على  
الفارس ، ومنقصة يأنف عنها ) (٢) وقد وجد هذا الخلق عند فرسان المسلمين الذين  
يقاتلون من أجل الحق والعدل ، فقد اعترفوا بشجاعة أعدائهم الكافرين دون أي بخس لهذه  
الشجاعة ، فقال كعب (٣):

فَعَلْنَا وَكَانَ مَالِدَى اللَّهِ أَوْسَعُ      فَتَلْنَا وَتَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا  
وَدَارَتْ رُحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رُحَاهُمْ      وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ

إن عدم حضور قريش في بدر الموعد لا يعني نهاية الصراع بين المسلمين  
وأعدائهم ، إذ نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يخبره بأمر الله تعالى له بالمسير إلى  
بني قريظة ، فأمر رسول الله أصحابه بالتهيؤ لقتالهم ، فاستجاب المسلمون لأمره ، وما  
كرهوا الخروج إلى القتال لأنهم بطاعتهم لنبيهم قد أطاعوا ربهم ، وطاعة الله تعالى  
ورسوله الكريم تُوجب لهم الرضا والنصر على الأعداء والفوز بالشهادة ، قال كعب بن  
مالك (٤) :

وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ      وَإِذَا مَا دَعَا لِكَرْبِهِ لَمْ نُسَبِّحْ

(١) ديوانه : ١٠٩ .

(٢) دراسات في الشعر الجاهلي: ١٠٤ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٣) ديوانه : ١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٦ - ١٩٧ .

وَمَتَى مَا يَنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيَا  
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ  
وَمَتَى نَرَّ الْحَوَامَاتِ فِيهَا نُعْرِقُ  
فِيْنَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقُّ مُصَدِّقٍ  
وَيُصَيِّبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمَرْفَقٍ

فحاصروا أعداءهم خمسا وعشرين ليلة حتى أجندهم الحصار ، وقذف في قلوبهم الرعب (١) ، فأراد رسول الله ﷺ تحنيد مصير بني قريظة ، فقالت الأوس: يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، فقال لهم رسول الله: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم ؟ قالوا: بلى ، قال رسول الله ، فذاك سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها ربيعة (٢) وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فحملوه حتى أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد أن تأخذه في الله لومة لائم ، فلما أن له رسول الله ﷺ في إصدار حكمه عليهم ، قال: أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء (٣).

إن سعداً في حكمه هذا يبين لنا(عنف أثر العقيدة في نفسه التي لم تجد حرجاً من تجاوز كل العواطف الأسرية ، فدعته إلى أن ينفذ حكم الله) (٤) في مواليه بكل شجاعة وحزم ، لأنهم خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وفي حكم سعد هذا نلاحظ أثر الإسلام في المسلمين فقد صبغهم(صبغة جديدة،حتى انقطعت الصلة بينهم جاهليين وبينهم مسلمين) (٥) ، فاستجاب الله دعاءه يوم أن أصيبَ بسهم في يوم الخندق قطع منه الأكل وأعجزه عن مواصلة الجهاد ، فدعا الله ﷻ قائلاً: (اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقتني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لسي شهادة ولا تمتني حتى تقر

(١) بظر: السيرة النبوية: ٢٤٤/٣ - ٢٤٦ ، وتاريخ الإسلام (النعري): ٣٠٧ - ٣١١ .

(٢) هي ربيعة الأنصارية أو الأسلمية . بظر: الإصابة: ٨١/٨ .

(٣) بظر: السيرة النبوية: ٢٤٩/٣ - ٢٥٠ .

(٤) العروسة في أدب القرن الأول: ١٤٥ .

(٥) فخر الإسلام: ٩٨/١ ، أحمد أمين .

عيني من بني قريظة<sup>(١)</sup> فجعل الله تعالى هلاكهم على يديه ، فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد فمات منه شهيداً ﷺ<sup>(٢)</sup> . إن شجاعة سعد كان لها صداها عند المسلمين ، فهذه أمه كُبَيْشَةُ<sup>(٣)</sup> ترثيه رثاءً صادقاً ليس كرتاء الجاهلية المصاحب لضرب الخدود وشق الجيوب<sup>(٤)</sup> فالإسلام عندما جاء هذب النفوس وأما الروح الجاهلية بقيمها ودوافعها المادية ، وأحل الإيمان محل الكفر ، وبات الإنسان يلجأ لخالفه في الملمات ، وأصبحت مرضاة الله هي المبتغاة ، يُضحى الفرد بماله ونفسه في سبيل الله جل شأنه<sup>(٥)</sup> ، لذلك نراها صابرة على حكم الله تعالى لأنه قتل في سبيل الله تعالى ، فهو يستحق الفخر والإشادة به ، فهي في رثائها له تذكر شجاعته وفتكه في الأعداء ، ( فالرثاء باب واسع لا ينغلق على البكاء والتفجع والتوجع ، بل يفتح على الفخر والحماسة )<sup>(٦)</sup> وهو ما فعلته أمه ، فقالت<sup>(٧)</sup> :

وَيْلُ أُمَّ سَعْدٍ سَعْدًا      صَرَامَةٌ وَجَدًا  
وَسُودِدًا وَمَجْدًا      وَفَارَسًا مُعَدًا  
سَدًّا بِهِ مَسَدًا      يَقْدُّهَا مَا قَدًّا

وما أصدق من قولها هذا إلا قوله ﷺ : " كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ"<sup>(٨)</sup> ، فرسول الله يؤكد ما وصفته من شجاعة هذا الصحابي الجليل . وكلمًا حاول المشركون الاعتداء على المسلمين ، كان لجم المسلمون بالمرصاد وردوا عدوانهم ،

(١) يُنظر: السيرة النبوية : ٢٣٨/٣ ، وتاريخ الإسلام (المعاري) : ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٢/٣ ، والمصدر نفسه : ٣١٩ .

(٣) هي كُبَيْشَةُ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرر ، وهو حذرة ابن عوف بن الحارث بن الحُسَيزَج . يُنظر: الإستيعاب : ١٩٠٦/٤ .

(٤) يُنظر: صحيح البخاري : ٤٣٥/١ .

(٥) يُنظر: رثاء الأنبياء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي : ٤٥ - ٤٦ د . محمد إبراهيم حور .

(٦) دراسات في الأدب الجاهلي (مطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية : ١٥٧/١) د . عادل جاسم البياتي .

(٧) معجم ديوان أشعار النساء : ١٥١ .

(٨) صحيح مسلم : ٣٣٢/١ .

يدفعهم إلى ذلك الإيمان الصادق بعقيدتهم ، وفروسيتهم التي وظفوها لخدمة الإسلام (١) ، ففي غزوة مؤتة كان لنا فيها ( نماذج تُقتدى ورواداً أمثال تُحتذى لأنهم استطاعوا أن يكونوا الصورة المثلى ) (٢) في الشجاعة والفداء . إنهم أمراء رسول الله ﷺ إلى قتال الفرس والروم ، فكان أحدهم تُقطع أجزاء جسده في مبارزته الأعداء ولا يُضره ذلك شيئاً ، لأنه مؤمن بما عند الله تعالى من أجر عظيم . فكلهم قاتل الأعداء بشجاعة الأسود الكواسر حتى رزقهم الله تعالى الشهادة ، فكانوا ﷺ موضع عز وفخر للمسلمين طالما دافعوا عن الإسلام والمسلمين ، وفرجوا عن المسلمين كل أمرٍ عسير مر بهم ، وهذا دليل الشجعان ، قال حسان (٣) :

فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      دَعَائِمُ عِزٍّ لَا يَزُولُ وَمَفْخَرُ  
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ      رِضَامٌ إِلَى طُودِ يَرْوُقُ وَيَقْهَرُ  
بِهِمْ تُكْشَفُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَازِقٍ      عَمَّاسٌ إِذَا مَا ضَاقَ بِالْقَوْمِ مَصْدَرُ

لقد كان لفرسان المسلمين حضور دائم في جميع المعارك والغزوات التي خاض غمارها مجاهدو الحق مع قائدهم ونبينهم محمد ﷺ فكانوا مثلاً رائعاً في جهادهم من أجل عقيدتهم ضد أعداء الإسلام (٤) ، وهذا ما أثبتوه في غزوة حنين عندما خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألف مقاتل ، ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه للقاء هوازن (٥) ، فكان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادي حنين (٦) ، فكمناوا في شعبابه وجوانبه ومضايقه فتهيؤا وأعدوا أنفسهم للقاء جيش رسول الله ، فدارت المعركة وتفرق المسلمون ونادى فيهم رسول الله ﷺ أيها الناس ؟ هلموا إليّ أنا رسول الله ، أنا

(١) يُنظر: العروسة في أدب ق ١٥٠ / ٤٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٢٠٥ ، د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البيان ، د. مصطفى عد النظيف .

(٣) ديوانه : ٩٨ .

(٤) يُنظر: العروسة في أدب ق ١٥٠ / ٥٢ .

(٥) يُنظر: تاريخ الطبري : ١٢٧/٣ .

(٦) حنين: وادٍ إلى جنب ذي الحجاز ، وحدثت هذه العروة سنة ٨ هـ ، يُنظر: السيرة النبوية: ٨٠/٤ - ١٠٠ ،

وطبقات ابن سعد: ١٤٩/٢ - ١٥٧ ، وتاريخ الطبري: ١٢٥/٣ - ١٣٩ ، ومعجم اللسان: ١٩٠/٣ ،

والكامل في التاريخ: ٢٦٦ - ٢٦٦ .

محمد بن عبد الله<sup>(١)</sup>، فكان لبني سليم موقف مشرف في هذه المعركة ، يقودهم فارس يَعدُّ مائة رجل ، إنه الضحاک بن سفيان<sup>(٢)</sup>، فأثبت شجاعته وبطولته وهو يقاتل الكافرين، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذه المعركة ، بل رافق ( أغلب المعارك التي خاضها المجاهدون ... ، فكان ينبض بروح القوة والثبات ليعزز في نفوس المسلمين عوامل الاندفاع والتضحية )<sup>(٣)</sup>، فالعباس بن مرداس شاعر مجاهد يصور لنا شجاعة القائد الشجاع الضحاک في ذلك اليوم وما فعله بالأعداء وهو يقطعُ الرووس بسلاحه الحاد ، وخبرته العسكرية التي وظفها للدفاع عن المسلمين ، فقال<sup>(٤)</sup>:

رَجُلًا بِهِ ذَرَبُ السَّلَاحِ كَأَنَّهُ      لَمَّا تَكَنَّفَهُ العَدُوُّ يَرَاكََا  
يَغْشَى ذُوِي النَّسَبِ القَرِيبِ وَإِنَّمَا      يَغِي رِضَا الرَّهْمَنِ ثُمَّ رِضَاكََا  
أَنْبِيكَ أَنِّي قَدِّ رَأَيْتُ مَكْرَهُ      تَحْتَ العَجَاجَةِ يَدْمَعُ الإِشْرَاكََا  
طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً      يَقْرِي الجَمَاجِمَ صَارِمًا بَتَاكََا  
يَغْشَى بِهِ هَامَ الكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى      مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَأَنَّ شِفَاكََا

وفي غمرة أحداث هذه المعركة يقع زهير بن العجوة<sup>(٥)</sup> أسيراً بيد الأعداء ، فكُتِفَ وضرب عنقه ، فقتل شهيداً ، وهنا يأتي دور الشعر في توثيق شجاعة وبطولة هذا الشهيد فيذا ابن عمه يخاطب الذي قتله ويقسم له بأن لولاقي زهير غير مؤثق لقاتله بشجاعة وشراسة ، كشراسة ضيباع الوادي المشتهيات للأكل ، ويصرعه أسو صرعة ، لكنَّه قتله مؤثق ، وهذا يدل على جبن قاتله ، وشجاعة زهير<sup>(٦)</sup>، فقال أبو خراش الهذلي<sup>(٧)</sup>:

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٨٣/٤ - ٨٥ .

(٢) هو الضحاک بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن عفاف ابن امرئ القيس بن هنة بن سليم السلمي ، كان صاحب راية بن سليم ورأسهم وقال لهم حين تبعوا الفجاءة السلمي يا بني سليم بش ما فعلتم ، ، وقال نعم ليس بي وبكم هوادة ، ثم رجع مع المسلمين إلى قتاضه فاستشهد . يُنظر: الإصامة: ٢٦٦/٣-٢٦٧ .

(٣) حياذ في شعر عصر صدر الإسلام: ١١٩ .

(٤) ديوانه: ٩٦ ، جمع وتحقيق د. يحيى الخوروي .

(٥) هو زهير بن العجوة اهل بني قتل يوم حنين مسلماً . يُنظر: الإصامة: ٥٥٤/١ .

(٦) يُنظر: شرح أشعار اهلذليين: ١٢٢٢/٣ .

(٧) ديوان اهلذليين: ق ٢ : ١٥٠ .

فَوَ اللَّهُ لَوْ لَا قَيْتَهُ غَيْرَ مُوثِقٍ      لَأَبَكَ بِالْجُرْعِ الضَّبَاعِ التَّوَاهِلُ  
وَأَبْكَ لَوْ وَأَجْهَتَهُ إِذْ لَقَيْتَهُ      فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتِ رِمْنٌ يُنَازِلُ  
لُظْلٌ جَمِيلٌ أَسْوَأُ الْقَوْمِ ثَلَاثَةٌ      وَلَكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ

ولم تكن شجاعة الشهداء وبطولاتهم التي صورها الشعر قاصرة على دور الرجال في نقلها لنا ، بل كان للمرأة دور في هذا المجال ، فهذه عاتكة <sup>(١)</sup> بنت نفيل تصور لنا شجاعة زوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق " رضي الله عنهما " الذي استشهد في غزوة الطائف <sup>(٢)</sup> من سهم أصابه <sup>(٣)</sup> ، وهي في وصفها لنا شجاعته لا تعتمد إلى التأمل الطويل في تعظيم شجاعته وإظهاره بصورة هو مغاير لنا ، بل كان وصفها له حقيقة من غير تأمل لأنها زوجته وأقرب الناس إليه ، لذلك فهي أقدر الناس على اكتشاف حقيقة شجاعته <sup>(٤)</sup> ، فقالت <sup>(٥)</sup> :

فَلَلِهَ عَيْنًا مَن رَأَى مِثْلَهُ فَتَى      أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَ  
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسْتَةُ خَاضَهَا      إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرِّمْحَ أَحْمَرَ

هكذا هم رجال الإسلام الذين تربوا في مدرسة رسول الله ﷺ رأيناهم يقاتلون الأعداء بشجاعة الأسود . ولم ( يتأثر أو يضعف هذا الإيمان الراسخ في قلوب المقاتلين بعد وفاة قائد الأمة ورسولها الكريم ﷺ إنما لازمهم ) <sup>(٦)</sup> ، لأنهم أدركوا (أنهم ورثة هذا النبي الذي بُعث فيهم إلى الناس كافة ، يهدونهم بيديه إلى ما اهتدوا إليه ، وما ارتضوه

(١) هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العموية ، أخت سعيد بن زيد ، أمها أم كريمة بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمي ، كانت من المهاجرات تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق " رضي الله عنهما " ، يُنظر: الإستيعاب:

١٨٧٦/٤ - ١٨٨٠ .

(٢) كانت غزوة الطائف سنة ٨هـ ، يُنظر: تفاصيل هذه الغزوة في السيرة النبوية: ١٢٢/٤ - ١٢٨ ، وتاريخ خليفة: ٥٢/١ - ٥٣ ، وطبقات ابن سعد: ١٥٧/٢ - ١٦٠ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٥٩١ - ٥٩٨ .

(٣) يُنظر: الإستيعاب: ٨٧٤/٣ - ٨٧٥ ، والإصابة: ٤٢/٤ .

(٤) يُنظر: السلاج في الشعر الأموي: ٧١ ، رسالة ماحستر - كلية الآداب - جامعة بغداد - محمد حنين علي ١٩٩٩ .

(٥) معجم ديوان شعراء العرب: ١١٨ .

(٦) انغروسية في أدب ق ١هـ / ١٥٣ .

لأنفسهم ، فعليهم وحدهم يقع هذا العبء ( <sup>(١)</sup> ) ، فما أن تسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقبليد الخلافة حتى طغت على الجزيرة موجة حادة من الردة ، إذ امتنع كثير من العرب عن أداء الزكاة ، فاستشار الصديق كبار الصحابة فيما يصنع ، فقالوا لا طاقة لنا بقتال العرب جميعا ، فقال : ( والله لئن أخرج من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون رأيي هذا ) ( <sup>(٢)</sup> ) ، ثم صعد المنبر فخطب الناس خطبته المشهورة التي قال فيها : والله لو منعوني عقالا لجاهنتهم عليه واستعنت عليهم الله ، وهو خير معين ( <sup>(٣)</sup> ) ... ولما رأوا إصرار الخليفة على ذلك علموا أنه الحق فهو يحافظ على عقيدة المسلمين التي ورثها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور بتبليغها إلى الناس أجمع ، فهي لا تساوم ، بل هي واجب عليهم ، فأطاعوه لأن طاعته واجبة عليهم ، فتقلدوا سلاحهم وامتطوا خيولهم لمحاربة المرتدين ( <sup>(٤)</sup> ) ، ( وكان من الطبيعي أن يواكب الشعر هذا الحدث الرهيب ) ( <sup>(٥)</sup> ) وينقل ( جهاد المؤمنين الذين دافعوا عن الحق ، ووقفوا بوجه النزعة الحمقاء التي حاولت إيقاف الرسالة ، وجادلوا المرتدين بعزائم قوية ومقاومة صلبة وتغان مخلص ) ( <sup>(٦)</sup> ) ، ففي السنة الحادية عشرة من الهجرة توجه جيش المسلمين لقتال المرتدين في اليمامة ، فالتقى الناس واقتتلوا قتلا شديدا أظهر فيه المسلمون أنبل صور الفداء والتضحية في سبيل العقيدة التي حملوها للناس ، فقاتلوا الأعداء وجعلوا يتواصلون بينهم ويقولون يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، فهذا ثابت بن قيس ( <sup>(٧)</sup> ) يحمل راية الأنصار ويتوجه نحو الأعداء يجالدهم بسيفه ، فدارت المعركة على المسلمين واشتدت عليهم وحمى وطيسها ، أما ثابت بن قيس فقد حفر لقدميه

(١) شعر الفتوح الإسلامية: ٣٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي: ٥٣ ، د. شوقي صيف .

(٣) بنظر: أيام العرب في الإسلام: ١٤٨ ، والعتال: ركاة عام من الإبل والغنم . بنظر: اللسان: ٣٠٤٩/٤ (عقل).

(٤) بنظر: العروسية في ادب: ١٥٣ / ١٥٣ .

(٥) الإسلام والشعر: ١٨٤ ، د. سامي مكى العاتق .

(٦) شعر الحرب حتى ق١٥٧ / ١٠٧ .

(٧) هو ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

محمد ، وقيل انا عبد الرحمن ، شهد أحنأ وما بعدها من المشاهد ، وقتل يوم اليمامة شهيدا "رحمه الله" . بنظر: الإستيعاب: ٢٠٠/١ - ٢٠٣ ، والإصابة: ٢٠٣/١ .

في الأرض بعنما ما تحنط وتكفن ، ولم يزل يقاتل بشجاعة حتى قُتل شهيداً<sup>(١)</sup>. فما كان من رفيقه في الجهاد إلا أن يُخلد شجاعة هذا المجاهد ، إنه عمرو بن عامر الأنصاري<sup>(٢)</sup>، فقال<sup>(٣)</sup>:

لَمَّا رَأَى الدَّسَّ قَدَ فَلَوا ظُهُورَهُمُ      نَادَى البرَاءَ وَكَانَا عُدَّةَ البَّاسِ  
مَا زَالَ يَضْرِبُ بِالمَأْتُورِ مُعْتَرِضاً      جَمَعَ العَدُوَّ كَلَيْثَ بَيْنَ أَخْيَاسِ  
حَتَّى أَصَابَ اليَ قَدَ كَانَ يَطْلُبُهَا      أَعْظَمَ بِمَا نَالَهُ المَرْءُ ابْنَ شَمَّاسِ

وهذا مجاهد آخر التحق بجيش خالد بن الوليد لقتال المرتدين ، فأظهر من الشجاعة والبطولة ما لم يُظهِر غيره ، فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" إنه عبد الله بن المنذر<sup>(٤)</sup>. ولم تكن شجاعته بمنأى عن عيون الشعر الذي واكب هذه المعارك ، بل صورها ووثقها وأعلى من شأنها ، ومن صورها لنا ؟ إنه نافع بن الأسود<sup>(٥)</sup> ، فقد كان مجاهداً في هذه المعركة ، فقال في حق شجاعة عبد الله<sup>(٦)</sup>:

أَذْهَبَ فَلاَ يُبْعَدُكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ      مَوْرِي حُرُوبٍ وَلِلْعَافِينَ وَالنَّادِي  
مَا كَانَ يَعْدِلُهُ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ      وَلَا يُوَارِيهِ فِي نَعْمَى وَإِرْصَادِ

وما تزال المعركة ملتبهة بين الجيشين ، وخير من ينقل لنا مشاهدتها الرهيبية ، بطل مجاهد ممن نال شرف المشاركة ومن ثم الشهادة ، إنه ضرار بن الأزور ، فقد كان عن جنود الحق في ذلك اليوم ، فصور لنا التقاء الجيشين ، والسيف والرمح قد تصافحت ، والنبال تبادلت ، والدماء قد سالكت حتى غطت حجارة الوادي فقال<sup>(٧)</sup>:

(١) يُنظر: أهاج العرب في الإسلام: ١٧١ .

(٢) يُنظر: الإصابة: ٤/٥ .

(٣) أحسانة الشحرية: ٣١٨/١ لأبي الشحروري .

(٤) هو عبد الله بن المنذر بن حلال التميمي ، استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد . يُنظر: الإصابة: ٩٥/٥-٩٦ .

(٥) هو نافع بن الأسود بن قتيبة بن مالك التميمي الأسدي ، عظيم بكنى أبا نعيم . يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٢/٦ .

(٦) المصدر نفسه: ٩٦/٥ ، وديوانه: ١١٢ ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد ، ع الأول ، المجلد ١١ ،

١٩٨٢ .

(٧) تاريخ الطبري: ٢٥٢/٣ .

وَلَوْ سِئَلْت عَنَّا جَنُوبَ لَأَخْبَرْت      عَنِّيَبَةً سَأَلْتَ عَقْرِبَاءَ وَمَلْهَمِ  
وَسَأَلَ بِفِرْعِ الوَادِ حَتَّى تَرَقْرَقَتْ      حِجَارَتُهُ فِيهَا مِنْ القَوْمِ بِالدَّمِ  
عَيْشَةَ لَا تُغْنِي الرَّمَاحُ مَكَانَهَا      وَلَا التَّبَلُ إِلَّا المَشْرِفِيُّ المَصَّمِ

إن هذه الأحداث الرهيبة لم تكن لتضعف من عزيمة المسلم المجاهد الذي خرج لقتال أعداء الإسلام ، فهو مسلم مؤمن بعقيدة الإسلام ، يرى في الجهاد حق عليه لان فيه الفوز برضا الله ﷻ . فقال (١) :

فَإِن تَبَتَّعِي الكُفَّارَ غَيْرَ مُلِيمَةٍ      جَنُوبَ فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينِ مُسْلِمُ  
أَجَاهِدُ إِذَا كَانَ الجِهَادُ غَنِيمَةً      وَلِلَّهِ بِالمَرْءِ المَجَاهِدِ أَعْلَمُ

لقد كانت معركة اليمامة موقعة فاصلة بين جيش الحق وجموع العرب المرتدين الذين لم يشهد التاريخ مثل تجمعهم ضد جيش الإسلام (٢) .

وتواصل جيوش المسلمين محاربتها للمرتدين الذين خرجوا عن طاعة خليفة المسلمين فهم يدركون حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم في هداية الأمم الضاللة إلى طريق الحق ، فهذا سيف الله المسلول يتوجه إلى دومة الجندل (٣) بأمر من الصديق ﷺ ولما بلغ أهل دومة الجندل مسير خالد إليهم بُجِتُوا ، ثم اختلف زعماءهم بينهم فيما يصنعون ، وكان عليهم رئيسان: أكيدر بن عبد الملك (٤) ، والجودي بن ربيعة ، فقال: أكيدر: أنا اعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائراً منه ، ولا يرى قوم وجهه خالد قُلُوا أو

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٢ .

(٢) يُظَر: شمر الحرب حتى ١٠٧/١٠٧ .

(٣) خالد بن الوليد على أكيدر بن عبد الملك سنة ١٢هـ ، ودومة الجندل: في شمال نجد على سبع مراحل من دمشق . يُظَر: تاريخ الطبري : ٢٢/٤ - ٢٧ ، والكاميل في التاريخ: ٢/٣٩٥ - ٣٩٦ ، ومعجم البلدان: ٤/٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٤) هو أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل كان شجاعاً مولعاً باقتناص الوحش ، وحه النبي ﷺ خالد بن الوليد في ( ٤٢ ) فارساً من اندبه فلما قارب حصه رآه في نفر من رحاله بطاردون نفر الوحش ، فاحاط به وأسرته وأوثقته خالد وأقبل به على الخصى فافتحه صلحاً ، و: خالد بالأكيدر إلى المدينة فقبل اسلم ورده رسول الله إلى بلاده بعد أن كتب له كتاباً مع المسلمين من التعرض لقومه ، ولما توفي رسول الله نقص أكيدر العهد عندها أمر أبو بكر خالداً أن يسر به فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل . يُظَر: الأعلام: ٥٦/٢ للزركلي .

كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم ، فأبوا عليه ، فقال : لن أماليكم على حرب خالد <sup>(١)</sup> ، فنزل خالد وجيشه لملاقاة الجودي بن ربيعة ، فالتقى الجيشان في معركة كفتها الراجحة لجيش خالد بن الوليد ، وفي كل معركة يخوضها جيش الإسلام تتجلى لنا العقيدة الصادقة من خلال مواقف المجاهدين الذين يخوضون غمار هذه المعارك بكل شجاعة ، فنافع <sup>(٢)</sup> بن غيلان مجاهد نذر نفسه للدفاع عن حياض الإسلام ، خرج في جيش خالد هذا ، فقاتل وجاهد بكل شجاعة حتى نال الشهادة ، وخير من يصور لنا شجاعته أبوه، الذي حزن عليه حزن محتسب وصابر لان ابنه شهيد شجاع فما كان منه إلا أن يفتخر بشجاعته ، فقال <sup>(٣)</sup>:

يَا نَافِعًا مِّنَ اللَّفَّوَارِسِ أَحَجَمْتُ      عَن شِدَّةٍ مَّذْكُورَةٍ وَطِعَانِ  
يَا نَافِعًا مِّنَ اللَّفَّوَارِسِ إِذْ تُورُوا      فِي يَوْمِ بُوْسٍ أَوْ لِيَوْمِ لِيَانِ

فكان النصر لجيش الإيمان ، فقد هزم الله تعالى الكافرين على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وتستمر جيوش المؤمنين في مطاردة فلول المرتدين والقضاء عليهم حتى استطاعوا السيطرة عليهم وإخضاعهم للحكم الإسلامي المتجدد بالخليفة الراشد أبي بكر الصديق ، ولم يفكر المسلمون لحظة واحدة بالتوقف عن نشر الرسالة الإسلامية حتى بعد وفاة الصديق ، فأكمل هذه المهمة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكل جد وعزيمة على نشر هذه العقيدة إلى خارج حدود الجزيرة العربية ، فدب الناس وحثهم على مواصلة الجهاد ضد أعدائهم من الفرس والروم، وما عليهم لكي يقوموا بنشر رسالتهم إلا أن ( يقطعوا هذه الطرق التي طالما قطعوها من قبل تجاراً يحملون عروض الدنيا ، لكنهم في هذه المرة يحملون تجارة لن تبور ، يحملون دين الله الحق وهدى رسوله ، ويبشرون بما هو خير وأبقى ) <sup>(٤)</sup> . ولم يكن شعراء صدر الإسلام المجاهدون بعيدين عن مواكبة هذه الجحافل المؤمنة ، بل كانوا في مقدمة صفوفها ، ( يتقفون على دقائق الأحداث بكل

(١) ينظر: أهام العرب في الإسلام: ٢٠٦ .

(٢) هو نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي ، استشهد في جيش خالد بن الوليد بدومة الجندل . ينظر: الإستيعاب: ٤/١٤٩١ ، والإصابة: ٢٢٧/٦ .

(٣) التغازي والمراني: ٢٣٩ للمرد . والتغازي: ٥٠/١ لأبي الحسن علي بن محمد المدائني .

(٤) شعر الفتح الإسلامية: ٣٢ .

تصوراتهم ، يرصدون الخفقة الهامسة ، ويلتقطون الصوت الأصيل ويأبعون روح المقاتلين وهي تواجه الأحداث بجراً ، ويلتمسون إقدامهم وهم يقتحمون المواقف الصعبة<sup>(١)</sup> ، ففي معركة الجسر<sup>(٢)</sup> قاد جمع المؤمنين أبو عبيدة ضد جموع الفرس الكافرين ، وكان أعداء الإسلام قد جلنوا معهم الفيلة لكي يقاتلوا بها المسلمين ، فدارت المعركة واشتد القتال على المسلمين ، وأبو عبيدة يُقاتل الأعداء بشجاعة وثبات ، فرأى فيلاً أبيض ، فوثب عليه وقطع بطانته ، فوقع اللذين عليه ، وضرب خرطومه بالسيف ، لكن الفيل تقدم لأبي عبيدة وضربه برجله ، فألقاه على الأرض ، ثم وقف فوقه فأزرق روحه " رحمه الله " <sup>(٣)</sup> . لقد كان هذا القائد صادقاً في اللقاء ، شجاعاً في القتال ، ما تردد أمام جموع الفرس الكثيرة ، بل قاتل بكل شجاعة وهو يحمل راية المسلمين حتى نال الشهادة<sup>(٤)</sup> ، وهنا يأتي دور الشعر في توثيق هذه الشجاعة ، فهذا أبو محجن النقفى شاعر مجاهد قد حضر هذه المعركة ، فصور لنا شجاعة هذا القائد ، إذ صور تكسر الرايات ، ويقصد بها راية أبي عبيدة ، والراية لا تُكسر إلا بعد قتال طويل ، وكلاهما دليل مُقاتلته الأعداء ، وهذه المقابلة دليل شجاعته ، فقال أبو محجن<sup>(٥)</sup> :

يَا عَيْنُ بَكِّي أَبَا جَبْرِ وَوَالِدَهُ إِذَا تَحَطَّمَتِ الرَّايَاتُ وَالْحَلَّتْ<sup>(٦)</sup>

لقد كانت موقعة عظيمة أبدى فيها المسلمون شجاعتهم في قتال أعدائهم ، وهما عين الأحداث في قلب المعركة ينقل لنا ذلك إنه أبو محجن النقفى فقال<sup>(٧)</sup> :

إِلَى فَيْيَةِ بِالطَّفِّ نَيْلَتْ سَرَاتُهُمْ وَغُودِرَ أَفْرَاسٍ لَّهُمْ وَرَوَّاحِلُ

(١) انجماهات جديدة في شعر الحرب في القرن الأول الهجري: ٢٨٩ .

(٢) مرصع بشاطن الفرات العربي ، وسمي بذلك لما كان من قطعه من وراء المسلمين . يُنظر: تاريخ الطوسي: ٦٧/٤ - ٧٠ ، والكامل في التاريخ: ٤٣٨/٢ - ٤٤٠ ، ومعجم البلدان: ٥٨/٣ .

(٣) يُنظر: تاريخ الطوسي: ٦٨/٤ .

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٦٩/٤ - ٧٠ .

(٥) ديوانه: ٢٨ .

(٦) الخلق: الدرر . يُنظر: اللسان: ٩٦٩/٢ (خلق) .

(٧) ديوانه: ٣٠ .

ومن هؤلاء الفرسان التجعان الذين قاتلوا الأعداء وأبْلَوْا بلاءً حسناً حتى نالوا الشهادة الحنات بن ذريح<sup>(١)</sup> الذي استشهد في هذه المعركة وهو يقاتل الفرس ، فلما عَلِمَ أبوه باستشهاده أشاد بشجاعته في القتال وانعدام نظيره بين الفرسان إلى يوم الدين ، لكنه في الوقت نفسه مؤمن بالله تعالى وبقدره خيره وشره ، فلكل أجل كتاب<sup>(٢)</sup> فقال<sup>(٣)</sup>:

أَبْغِي الْحَنَاتُ فِي الْجِهَادِ وَلَا أَرَى      لَهُ شَيْهًا مَا دَامَ اللَّهُ سَاجِدِ  
وَكَانَ الْحَنَاتُ كَالشَّهَابِ حَيَاتِهِ      وَكُلُّ شَيْهَابٍ لَا مَحَالَةَ خَامِدِ

إنَّ ما أصاب المسلمين يوم قس الناطف لم يثن من عزيمتهم في قتال الفرس الطامعين وتحرير البلاد من سيطرتهم . فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينسب الناس إلى المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين لقتال الفرس ، فلما بلغ رُستم . والفيروزان ما عليه المثنى جمعاً جيشاً عظيماً جعلاً عليه القائد مهران الهذاني ، فانتهوا إلى المثنى وهو بالبويب<sup>(٤)</sup> ، فاستعد الفريقان للقتال ، ومع أول تكبيرة للمثنى اختلط الجيشان وتقاتلا قتالاً شديداً ، واثبت المسلمون شجاعتهم خلف قائدهم المثنى الذي تمكز من قتل مهران وأخذ يُحْفَزُ جنده: إِنَّ تَصْرُوا الله يَنْصِرْكُمْ ، حتى انهزم الفرس وفروا ، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسابقهم وأخذ طريقهم ، فافترقوا بشاطئ الفرات ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جُبُثًا فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمةً منها<sup>(٥)</sup>.

لقد انتصر جيش الحق على الفرس جيش المثنى الذي أظهر شجاعةً وفداءً في ذلك اليوم الحاسم ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان أشجع قائد شهدته الفتوح حتى أنه في شجاعته فاق شجاعة الأسد ، لما فعله بجيش الفرس من قتل وتشريد وتأسير ، فهذا شاهد عيان ينقل لنا شجاعته في ذلك اليوم وما كان عليه إنه الأعور الشنّي<sup>(٦)</sup> فقال<sup>(٧)</sup>:

(١) هو الحنات بن ذريح ، استشهد يوم حمر أبي عبيدة . يُنظر: لإصابة: ٥٨/٢ .

(٢) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٤٦ .

(٣) الإصابة: ٥٨/٢ .

(٤) حر بالعراق بأحد من نحرات . يُنظر: معجم لسان: ٤٠٣/٢ .

(٥) يُنظر: تاريخ الطبري: ٧٤/٤ - ٧٥ .

(٦) هو أبو سفد بشر بن سفد . يُنظر: الأنساب: ٤٦٤/٣ للإمام أبي سعيد سعد عبد الكرم التميمي السمعاني.

(٧) تاريخ الطبري: ٧٧/٤ .

هَاجَتِ لِأَعْوَرِ دَارِ الْحَيِّ أَحْزَانَا      وَأَسْتَبَدَلْتَ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ هَمْدَانَا  
 وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلَ مُجْتَمِعَ      إِذِ بِالتُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدَ مِهْرَانَا  
 أَرْمَانَ سَارَ الْمُثَنَّى بِالْحَيُولِ لَهُمْ      فَقَتَلَ الْقَوْمُ مِنْ فُرسٍ وَجِيلَانَا  
 فَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشَ الَّذِي مَعَهُ      حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْسَى وَوَحْدَانَا  
 مَا إِنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا بِالْعِرَاقِ مَضَى      مِثْلَ الْمُثَنَّى الَّذِي مِنْ آلِ شَيْبَانَا (١)  
 إِنْ الْمُثَنَّى الْأَمِيرَ الْقَوْمَ لَا كَذِبٌ      فِي الْحَرْبِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانَا

وقد أصيب المثنى بجراحات في المعركة الحاسمة التي هُزم فيها الفرس أستشهد منها "رحم الله تعالى" ، فقد كان شجاعاً شهماً بطلاً ، ميمون النقيبة حسن الرأي والإمارة أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد (٢).

وفي الجانب الآخر لهذه الفتوحات التي سيرها الخليفة عمر بن الخطاب كان لنا فيها قائد شجاع ابن قائد شجاع ، إنه سليمان بن خالد بن الوليد ، الذي خرج مجاهداً مع أبيه لتحرير أرض الشام من دنس الفرس والروم ، فسحقوا الأعداء في معارك كثيرة وهم يُحرزون الانتصارات العديدة ، لكن هذه الانتصارات لكي تستمر لا بد لها من تضحيات جسام تكون حافزاً لمواصلة الجهاد ضد الأعداء ، وفي إحدى المعارك التي خاضها المسلمون في فتوحاتهم للشام وانتصروا فيها ، تفقدوا شهداءهم ، فوجدوا من بينهم القائد سليمان ، فتأثر المسلمون لاستشهاده لأنه كان شجاعاً شجاعاً أبيه ، فهذا عمار بن ياسر رفيقه في الجهاد وقد رأى شجاعته وأدرك قوتها في المعارك التي خاضها ، يصفها لنا فيقول ما أن يسيل سليمان سيفه حتى تتراجع الأعداء خوفاً منه حتى ولو كانت أعدادهم كعدد حبات الرمل الكتيب ، فقال (٣) :

قَدْ كَانَ لَا يُفَكِّرُ كُلُّ الْعِدَا      إِنْ سَلَّ مِنْ غَمْدِ لِسِيفِ قَضِيبِ  
 وَتَحَذَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَأْسِهِ      لَوْ أَنَّهُمْ أَعْدَادُ رَمْلِ الْكُتَيْبِ

(١) الميدان الأحرار وردا مع نفة أبيات في أنباء العرب في الإسلام: ٢٣٨ .

(٢) بظن: الإسماعيل: ١٤٥٦/٤ . والإصابة: ٤١/٦ .

(٣) فروع الشام: ٢٦٣/٢ .

وهذا زياد بن المغيرة صديق سليمان ورفيقه في الجهاد ، تأثر لاستشهاده ، ونقل لنا جانباً من شجاعة هذا الفارس المغوار ، الذي ما أن يدخل ساحة المعركة حتى ترى الأعداء حوله وقد صرعهم بسيفه الصارم ، حتى أن الأعداء لا يفكرون في قتال أبطال المسلمين إذا ما رأوا سليمان قد احكم قبضته حول سيفه ، فقال (١):

مُجْتَدِلُ الْفَرَسِ فِي الْمَيْجَا إِذَا اجْتَمَعَتْ      وَلِلصَّانِدِ يَدِ يَوْمَ الْحَرْبِ خِصَامَا  
لَا يَمْلِكُ الضَّدْمِ مِنْ أَبْطَالِنَا أَمْلاً      إِنْ حَازَ سَاعِدُهُ الْقِصَاصَ صَمَامَا  
يَا طُولَ مَا هَزَمَ الْأَعْدَاءَ بِصَارِمِهِ      أَنَا لَهُمْ مِنْهُ تَنْكِيسًا وَارْغَامَا

ولما بلغ الخبر أباه حزن عليه واحتسبه عند الله تعالى ، فأثنى عليه وذكر

محاسنه، وأشاد بشجاعته ، فهو فارس شجاع لا يعرف الخوف ، فقال (٢):

وَكَانَ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْحَالِ سَيِّدَا      إِذَا قَامَ سَوْقَ الْحَرْبِ لَا يَعْرِفُ الْوَجَلِ

بأمثال هؤلاء الشجعان الذين نذروا أنفسهم لنشر رسالة الإسلام ، استطاع المسلمون من دحر الفرس والروم في معارك كثيرة ، فكانت حافزاً لأمير المؤمنين عمر لمواصلته الزحف نحو فارس والقضاء عليها ، فجزى لذلك جيشاً كبيراً أمرَ عليه القائد سعد بن أبي وقاص ، وأمره بالمسير نحو الفرس والقضاء عليها ، فسار جيش الإيمان والتقى بجموع الكفر والعدوان في القادسية ، فالتحم الجيشان وتبارز الفرسان في أكبر منازلة بين العرب المسلمين والفرس الكافرين ، فاثبت المسلمون فيها شجاعتهم وصدق عقيدتهم التي يقاتلون من أجلها ، ويسعون إلى نشر مبادئها إلى أرجاء العالم ، يستمدون العزم من الله تعالى ، أملين في الشيادة ، فهذا عمرو (٣) بن معد يكرب يفاخر بشجاعته في هذا اليوم إذ تمكن من قتل القائد الفارسي مهرا بن بفضل ساعده الذي حمل سيفه الصمصام الذي قطع به رؤوس الأعداء ، فقال (٤):

(١) فروع الشام : ٢٦٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٧/٢ .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب الربيدي ، شهد عامة فروع العراق ونسى ملاء حسنا في موقعة اليرموك ، استشهد في معركة

معاوية في قرية الروذة . يُنظر: الإسيما: ١٢٠١/٣ ، والإصابة: ١٨/٥ - ٢١ .

(٤) شعراء: ١٨٤ ، جمعه وحققه مطاع الطرايشي .

لَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَ الْأَعَاجِمِ أَنِّي      أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي إِذَا النَّاسُ أَحْجَمُوا  
وَأَنِّي غَدَاةَ الْقَادِسِيَةِ إِذْ أَتَوْا      بِجَمْعِهِمْ لَيْثٌ هَضُورٌ غَشْمَشَمٌ  
شَدَّدْتُ عَلَيَّ مَهْرَانَ لَمَّا لَقِيَهُ      بِكَفِّي صَمَمَامِ الْعَقِيقَةِ مِخْذَمٌ

فاستمرت هذه الحرب أربعة أيام تمكن فيها رجال العقيدة من سحق الفرس الأعداء، فكان النصر حليف المسلمين، وفرح المسلمون بهذا النصر الذي أمدهم الله تعالى به، لكن هذه الفرحة لم تُنسى المسلمين شهداءهم الأبرار الشجعان الذين قاتلوا الأعداء بشجاعة اللبوث، فهذه خزانة (١) بنت خالد بن جعفر بن قرط وهي ممن حضر الحرب، ترثيهم بشعر خلدت فيه شجاعتهم، فقالت (٢):

هُمُ فِتْيَةٌ عُرُّ الْوُجُوهِ أَعِزَّةٌ      لِيُوثٌ لَدَى الْهَيْجَا شَعَثُ الْجَمَاجِمِ

بوجود هؤلاء اللبوث البوامل واصل جيش الإسلام سيره الجهاد نحو هدم ملك الفرس والروم، وفي كل معركة يخوض غمارها هذا الجيش تتجلى لنا نماذج الشجاعة والفتوة، ففي معركة نهاوند حمل المسلمون على أعدائهم الكافرين، فاشتدت الحرب، وتعالق صيحات الإيمان، وتصافحت السيوف، وتساقت الفرسان، ولم يمنع اشتداد المعركة وانصراف المجاهدين إلى قتال الأعداء من أن يؤدي الشعر دوره في استنهاض الهمم وتوثيق شجاعة شهداء المسلمين (٣)، فالقعقاع بن عمرو التميمي كان من الفرسان المجاهدين في تلك المعركة، فرأى صديقه العزيز خالد بن يعمر التميمي يقاتل الفرس ويبلل بلاء الأبطال، فأشاد بصنيعه هذا (٤) فقال (٥):

حَضَضَ قَوْمِي مَضْرَجِيُّ بْنُ يَعْمَرَ      فَلَلَّهُ قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا  
وَمَا حَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جُمُوعُنَا      لِأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْتَعُونَ الْمَوَالِيَا

(١) يُنظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ٣٥١/١، عمر رضا كحالة .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ٨٢ .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١هـ / ١٩٦ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٣١ .

(٥) شعراء إسلاميون: ٥٠ .

لكن صنيقه البطل سقط شهيداً ، فتأثر لمصرعه فاقسم يميناً صادقاً في الانتقام من الأعداء ، فقال (١):

فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفِكُ سَيْفِي يَحُسُّهُمْ      فَإِنْ زَحَلَ الْأَقْوَامُ لَمْ أُتْرَحَلُ

فاشتدت الحرب وحمي وطيسها ، والنعمان يتقدم الصفوف حاملاً راية المسلمين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فاستشهد النعمان "رحمه الله تعالى" من مصابه في هذه المعركة فكتبوا أمر استشهاده ، فواصل المجاهدون تنفيذ واجبيهم الجهادي بروح صادقة ، لأيمانهم بقيمة المبادئ التي يحاهدون من أجل تحقيقها (٢) ، فيذا عمرو بن معد يكرب مجاهد شجاع أفنى شبابه في الجهاد في سبيل تعالى ، يقارع الأعداء ، ببذنه ورمحه ، إذا ما سمع نداء الجهاد سعى مُسرِعاً مليباً دون تردد ، فقال (٣):

أَعَادِلِ عُدَّتِي بَسْرِي وَرُمْحِي      وَكُلِّ مَقْلَصِي سَلْسِ الْقِيَادِ  
أَعَادِلِ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي      إِجَابَتِي الصَّرِيخَ إِلَى الْمُنَادِي  
مَعَ الْأَبْطَالِ حَتَّى سُلِّ جِسْمِي      وَأَفْرَحَ عَاتِقِي هَمَلُ النَّجَادِ

وهاهو اليوم جندياً مجاهداً خرج مع جيش النعمان بن مقرن ، وكيف لا يحضر وهو قد نذر نفسه للجهاد في سبيل الله تعالى ، فقاتل بكل شجاعة ، وصول على الأعداء ، فأصيب بجراحات يومئذ حتى كان الفتح والنصر للمسلمين ، إذ سرعان ما نال الشهادة من مصابه في المعركة فما كان من بعض شعراء الفتح إلا أن يُخلد هذه الشجاعة فقال (٤):

لَقَدْ غَادَرَ الرُّكْبَانَ يَوْمَ تَحَمَّلُوا      بَرُودَةَ شَخْصًا لَا جَبَانًا وَلَا غَمْرًا

( إنَّ الغاية التي قاتل من أجلها المسلمون لم تكن عنصرية ، إنما هي غاية إنسانية ترمج إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وإحقاق الحق ومحاربة الظلم ) (٥).  
(فالعرب لم يفتحوا بلاد فارس والروم ولم يدخلوها فاتحين ، وإنما كانت قوافل التحرير

(١) شعر ، إسلاميون: ٤٦ .

(٢) بُنْطَرُ: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٤ .

(٣) شعره: ٩٥ .

(٤) الإستيعاب: ١٢٠٣/٣ ، الدابة والنجاة: ١١٩/٧ .

(٥) الغروبية في أدب ق ١هـ / ٤٩ .

الإسلامية تحمل المبادئ الإنسانية الرفيعة ، وتنتشر القيم الأخلاقية السامية ، وتُعِيد إلى الإنسان كرامته في ظل الدعوة وحرية في نطاق الإطار العام ، ومنزلته في المجتمع الجديد (١) ، فبلغ خير الفتح والانتصار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحمد الله وأثنى عليه على هذا النصر ، فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية في زمنه على ما رأينا من كثرة الفتوحات التي نالها ، فكان ﷺ مثال القائد الشجاع المحنك ، وقد رأينا حرصه على قيادة الجيوش بنفسه، ووصاياه لأمرأء جيشه التي دلت على تأكيد القدرة القتالية للجند عن طريق بث الطمأنينة في قلوبهم بذكر الله وطاعته ، وحرصه على سلامة المسلمين ومتابعة أخبارهم . فنصر الله تعالى ، ومن ينصر الله ينصره ، ففتح عليه هذه الفتوحات الكثيرة ، لكن هذه الانتصارات لم ترضِ الفرس الذين رأوا زوال كيانهم على يد عمر ، فذبروا مكيده لاغتياله ﷺ فكان ذلك على يد أبي لؤلؤة الذي ضربه بسكين ست طعنات (٢) ، لكن هذه العملية أثبتت للعالم مدى جينيم ، وأثبتت شجاعة عمر الذي أمحى كيانهم ، وقلَّ جموعهم ، فما استطاعوا قتله مواجهة ، بل غدراً لأنهم أدركوا شجاعته وصولته ، فهو شجاع حتى في سكرات الموت ، فهو لا يخافه بل يخاف تراكم الذنوب ، وحاشاه من ذلك وهو فاروق الأمة ، فقال (٣) :

وَمَا لِي خَوْفُ الْمَوْتِ إِنِّي لِمَيْتٌ      وَلَكِنْ خَوْفُ الذَّنْبِ يَتَّبِعُهُ الذَّنْبُ

فمدت من مصابه شهيدا ﷺ لكن استشهاده لا يعني موت شجاعته التي عرفها الصحابة الكرام خاصة وأهل قریش عامة يوم أن ( نقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهماً ، وأتى الكعبة ، وأشرف قریش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلى ركعتين عند المقام ، ثم أتى جلقهم واحدة واحدة ، فقال: شأهت الوجوه ، من أراد أن تتكله أمه ، ويبيتم ولده ، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . فما تبعه منهم أحد ) (٤) . فهذه

(١) الأديب والالتزام: ٦٢ ، د. موري حمودي القيسي .

(٢) يُظَر: الاستيعاب: ١١٥٢/٣ - ١١٥٧ .

(٣) التعازي والمرآئ: ٢٢١ للمرد ، تاريخ الطري: ١٣/٥ .

(٤) تاريخ الخلفاء: ١١٥ - ١١٦ للبيوطي .

زوجته عاتكة تصفه لنا بالفارس المعلم يوم تهيج الجموع ويُسمع صليل السيوف ،  
فقال<sup>(١)</sup>:

فَجَعَنِي النُّونُ بِالْفَارِسِ المَقْدَمِ      يَوْمَ الهَيَّاجِ وَالتَّذْيِيبِ

لقد أثبت المسلمون صدق إيمانهم منذ أن أعلنوا إسلامهم وهجروا أموالهم وأولادهم  
وزوجاتهم في سبيل الله تعالى ، وقاتلوا الأعداء مع رسول الله ﷺ الكافرين ، فنصرهم الله  
تعالى ، وحتى بعد وفاته فإنهم قد حملوا الرسالة الإسلامية من بعده وانطلقوا بها إلى أنحاء  
العالم وهم يخوضون المعارك بشجاعة وإيمان ثابت ، فكانوا خير الناس إسلاماً ،  
واصدقهم قولاً وطلاعة لله ورسوله ، وأشجعهم قتالاً في ساحات الوغى ، فاصبحوا نماذج  
رائعة في الشجاعة يهتدي بها الخلف من بعدهم . فنعم هذا السلف الصالح الذي أقام على  
جنث شهدائه الأبطال الأبرار دولة الإسلام وأعلى راية الإيمان .

## ٢. الصبر :

الصبر قيمة خلقية تحلى واتصف بها العرب الذين اكتسبوها من معيشتهم في  
جزيرتهم ذات الطبيعة القاسية ( فحرها لافح ، وماؤها قليل أو نادر ، وجبالها صلبة ،  
وعواصفها عاتية دائمة )<sup>(٢)</sup> ، فهذه أجواء قاسية جافة لا يمكن لأحد أن يعيش تحت ظلها  
إلا من كانت قدرته عالية على الصبر والتحمل ، ومن لم يستطع فهو أما هالك أو مهاجر ،  
أما العرب فقد كيفوا مع بيئتهم وأصبح صبرهم هذا جزءاً من تكوينهم الشخصي ، ومن  
بين هؤلاء العرب نبينا محمد ﷺ ، وصحابته الكرام الذين ولدوا وشأوا وترعرعوا في  
شعاب مكة وضواحيها ، فتحملوا حرها اللافح ، وقلة مائها وصعوبة معيشتها حتى  
انسجموا مع هذه الظروف الصعبة وأصبح الصبر جزءاً من طبيعة حياتهم اليومية ، فنحن  
نرى إن صبرهم هذا ليس فيه شيء من الخصوصية لهم بل هم فيه سواء مع غيرهم من  
العرب ، لكن غيرهم من العرب ليسوا معهم سواء في صبرهم الجديد الذي عرفوا  
 وتميزوا به عن سائر العالم يوم أن بعث الله تعالى محمد ﷺ ، وأرسله بـ ( لا اله إلا الله  
محمد رسول الله ) لينير بها العقول ويُطهر بها القلوب ويُحرر بها البشرية من الشرك

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧ .

(٢) نثر الحربي في صدر الإسلام: ٣٢ عبد الرؤوف عون .

وعبادة القوى الطبيعية<sup>(١)</sup> فبدأ ﷺ بالأقربين فأمن به صحابته الكرام وأصبحوا درعه الأمين من أذى قریش له ، فنصروه وعزروه متحملين اشد أنواع العذاب دون جزع أو قنوط ، فالصبر عندهم أصبح نعمة روحية تبعثها العقيدة السامية التي غرسها فيهم ﷺ فتخفف من أذى المشركين لهم ، وتدخل إلى قلوبهم السكينة والاطمئنان<sup>(٢)</sup> ، ف شعر كل واحد منهم بأنه لا حجاب بينه وبين الله تعالى ما عمل صالحاً وأطاعه ، فاستولى الإيمان على قلوبهم فجمعهم سواء كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضهم بعضاً في مواجهة أعدائهم<sup>(٣)</sup> ، لكن لم ( يكن من السهل أن تتساب نفحات الإيمان ودفقاته النورانية إلى نفوس كبار قریش التي أعماها الحقد وأضلها الغرور والتكبر الأحمق ، فراحت تُتاصب الرسول ﷺ والمسلمين العداة واستخدمت كل الوسائل في ذلك )<sup>(٤)</sup> . لكن ذلك لم يكن ليُثني أو يقلل من عزيمة المصطفى ﷺ في تبليغ الرسالة لان الله تعالى أمره بالصبر ، وأخبره بأن صيره إنما هو الله ﷻ ، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> . فلما علم ﷺ أن صبره لله وأنه في حفظ الله ، هانت عليه المصائب فكان نموذجاً للصبر ورمزاً لتحمل جحود المشركين وعنادهم الأعمى ، فازداد أذى قریش لهم ، فأمر رسول الله صحابته بالهجرة إلى الحبشة ومنها إلى المدينة المنورة التي شرفها المصطفى ﷺ بهجرته إليها مع رفيقه الصديق ﷺ فكان دولة إسلامية ، منها تنطلق الدعاة ومنها تنطلق الجيوش الإسلامية ، فانصرفوا في بدر على المشركين ، والنقوا مرة أخرى في أحد وقریش يومها خرجت بعدد وعدة تفوق المسلمين ، فالتقى الجيشان وتلاحم

(١) يُنظر: تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي: ٢٢ ، ص ٥ . شوقي صيف .

(٢) يُنظر: النصر (مقالة) ، ٤٣ ، مجاح عبادة محمد الكبيسي ، مجلة التربية الإسلامية ، ع ٨ ، السنة ٣٤ ، ١٩٩١ .

(٣) يُنظر: شعر الفتح الإسلامية: ٣١ .

(٤) من سفر الإيمان والإرادة في الشعر وأثرهما في تحقيق النصر: ٥ .

(٥) سورة الطور: الآية ٤٨ .

(٦) سورة الحل: الآية ١٢٧ .

الفرسان ، فاشتدت المعركة وحمي وطيسها ودارت على المسلمين والصحابه الكرام يقاتلون حول نبيهم دون تردد أو جزع بل بصير وثبات غير أبيهين للموت فهم رجال الصبر ، والصبر سجيتهم ، هذا ما أثبتته كعب بن مالك فقال (١):

بِأَنَا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ      صَبْرُنَا وَرَايَاتُ الْمَيْتَةِ تَخْفِرُنِي  
صَبْرُنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ      إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتُقُ (٢)  
عَلَى عَادَةِ تِلْكَمْ جَرِينَا بِصَبْرِنَا      وَقَدِمَا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقِي

مستمددين العزم من الله تعالى الذي أمرهم بالصبر والثبات عند ملاقاته العدو قال

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

ومن الذين ثبتوا حول رسول الله ﷺ وصبروا على قتال الأعداء طلحة (٤) بن عبيد الله رضي الله عنه ، فقد أبلى يومئذ بلاء عظيما ، فوقى رسول الله ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت ، وضرب على رأسه ، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره ، فقال الرسول الكريم في حقه: " من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلي طلحة" (٥) . ولم يكن الشعر غائبا عن توثيق ثبات هذا الصحابي الجليل وصيره على تحمل ضربات الكافرين ، فيذا الصديق رضي الله عنه وهو ممن ثبت مع النبي ﷺ وجاهد الكفار يُصور لنا ثبات طلحة وصبره على الطعن والضرب الذي أصابه وهو يحمي رسول الله في ذلك اليوم ، فقال (٦):

\* من الذين حاموا رسول الله ﷺ ووثبوا معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والجارث بن الصمة ، يُنظر: السمر والغازي: ٣٣٠ .

(١) ديوانه: ١٩٣ .

(٢) نرتق: سد ونصلح ، والإبرام: اللثام . يُنظر: اللسان: ١٥٧٧/٣ (رتق) و ٢٦٨/١ (برم) .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السبيعي ، شهد أحدا والبطح فيها بلاء حسا . يُنظر: الإسماعيل: ٧٦٤/٢ - ٧٧١ ، وأسد العانة: ٨٥/٣ ، وإصابة:

٢٩٠/٣ - ٢٩٢ .

(٥) سس الترمذي: ٦٤٤/٥ .

(٦) كثر العمال في سس الاقوال والافعال : ٢٠٣/١٣ علي المتقي بن حسام الدين الهندي .

هَمِي نَبِيِّ الْهُدَى وَالْحَيْلُ تَبِعَهُ      حَتَّى إِذَا مَا لَقُوا حَامِي عَنِ الدِّينِ  
صَبْرًا عَلَى الطَّعْنِ إِذْ وَلَّتْ هَامَمٌ      وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَهْدِيٍّ وَمَقْتَسُونَ

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو أيضا ممن ثبت مع غيره من الصحابة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل لنا ثبات طلحة وصبره في قتال الأعداء وهو يحمي رسول الله ، فقال (١) :

هَمِي نَبِيِّ الْهُدَى بِالسَّيْفِ مُنْصَتًا      لَمَّا تَوَلَّى جَمِيعَ النَّاسِ وَانْكَشَفُوا

وبعد الصديق والفاروق يأتي أثر شاعر الإسلام والمسلمين حسان بن ثابت الأنصاري لكي ينقل لنا ذلك المشهد ، فيقول (٢) :

وَطَلْحَةُ يَوْمَ الشُّعْبِ آسَى مُحَمَّدًا      عَلَى سَاعَةٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَشَقَّتْ  
يَقِيهِ بِكَفْيِهِ الرِّمَاحَ وَأَسْلَمَتْ      أَشَاجِعُهُ تَحْتَ السَّيْفِ فَشَلَّتْ

هذا هو الصبر الجديد الذي اتصف وعرف به المؤمنون المجاهدون ، فهو جزء مهم من عقيدتهم ، قال عليه السلام : { الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله } (٣) ، وهذا اليقين وهذا الإيمان لا بد له من عمل يثبت صحته فكان ( الصبر هو الجانب التطبيقي العمل لهذا اليقين ) (٤) ، فأثبت الصحابة الكرام صدق إيمانهم يوم جهادهم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرين ثابتين في قتال الأعداء ، وهم كذلك حتى فازوا بالشهادة ، ولم يكن صبر هؤلاء الشهداء غائبا عن شعراء الدعوة الإسلامية الذين نزلوا إلى ( الساحة مقاتلين ومدافعين ، موجّهين ومرشدين ، يستمدون العزم من سلامة الدعوة ، ويستلثون الحجج من دستورها المبين ، مبطلين الحجج ومفندين الأدلة ) (٥) ، فهذا حسان بن ثابت

(١) كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٢٠٣/١٣ .

(٢) المصدر نفسه . وقد خلا منهما ديوانه .

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٤٨٤/٢ ، مجمع الزوائد: ٥٧/١ ناب في كمال الإيمان .

(٤) الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام: ١١٣ ، اطروحة دكتوراه - معهد التاريخ العربي والسننات العلمي للدراسات العليا - حازم عبد القهار الراوي ، ١٩٩٥ .

(٥) الأديب والالتزام: ٦٠ .

يرد على عبد الله بن الزبير الذي فخر بمقتل الأوس وبنو النجار في معركة أحد (١) ، وعده نصراً لهم وأخذاً بثأر قتلهم يوم بدر ، فرد عليه حسان بقصيدة رثى بها هؤلاء الشهداء وبين فيها كيف ( أن الأنصار من الأوس والخزرج قد باعوا أنفسهم لله ثم فداء لرسول الله ﷺ وصبروا على الجهاد في سبيل الله يرجون الدرجات العلى من الله التقدير ﷻ فلم يخذلوا رسول الله ﷺ بل نصروه وأيدوه ، وهم بصنيعهم هذا إنما يُعبرون عن صدق في الوفاء للدين الإسلامي ، وهو وفاء يقابله عند المشركين كفر بالله ، وشتان بين عبد وفي وكافر (٢) ، فقال (٣) :

وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمًا بِأَحَدٍ يَعُدُّهُ  
وَقَدْ ضَارَبَتْ (٤) فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلَّهُمْ  
وَحَامِي بَنُو النَّجَارِ فِيهِ وَضَارَبُوا (٥)  
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ  
وَفَوًّا إِذْ كَفَرْتُمْ بِأَسْحِينِ (٦) بِرَبِّكُمْ  
سَفِيهُ فَإِنَّ أَحَقَّ سَوْفَ يَشْبِعُ  
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ  
وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللَّقَاءِ جَزُوعُ  
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ  
وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ عَصِيٌّ وَمُطِيعُ

إن المجاهدين المسلمين هم قبل كل شيء دعاة إلى الله تعالى ، وفي جهادهم يدعون وفي سلمهم يدعون ، وفي ترحالهم يدعون ، ومن يقوم على هذه الدعوة لأبد أن يكون الصبر زاده وعتاده ، والصبر جنته وسلاحه ، والصبر ملجؤه وملأذه (٧) . ولا نبالغ إذ قلنا إن صحابة رسول الله ﷺ كان هذا حالهم مع الصبر عندما يخرجون دعاة في سبيل الله ، ومن هؤلاء الدعاة وفد الرجيع الذين أرسلهم رسول الله ﷺ دعاة في سبيل الله يعلمون

(١) يُنظر: الأشعار التي قاطا في السيرة: ١٤٩/٣ .

(٢) دراسات في ادب الدعوة الإسلامية : ٢٣٩ .

(٣) ديوانه: ٣٣٧ .

(٤) في السيرة النبوية: ١٥٠/٣ صابرت .

(٥) في المصدر نفسه: صابروا .

(٦) سخين : مرحم سخية وهي طعام كان يؤكل في شدة الدهر وغلاء السمر ، وعجف الماء فكانت قريش تكثر من أكلها فقبرت بما حتى سوا سخية . يُنظر: اللسان: ١٩٦٦/٣ ( سخن ) .

(٧) يُنظر: في طلال القرآن ، مجلد ٨ / ٢٩ - ٢٣٠ .

الناس شرائع الإسلام ويفقهونهم في أمور دينهم ، فاستجابوا لأمر الرسول الكريم ، كيف لا يستجيبون وغايتهم نشر هذا الدين العظيم ، هذا ما أكده كعب بن مالك فقال (١):

لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا  
بِكَفِّكَ فَأَهْدُنَا سَبِيلَ الرَّشَادِ

وفي طريقهم وعند وصولهم إلى ماء الرجيع حانت ساعة الاختيار ، اختبار الإيمان الصادق ومدى سموخه في قلوب المؤمنين ، فقد غرر بهم الوفد الذي جاء في طلبهم فاستصرخوا عليهم القبائل ، فقالوا لهم إنا لا نريد قتالكم ولكن نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، لكن أصحاب رسول الله أعزاء ، أعزهم الله بهذا الدين ، فلا يقبلوا إلا بالنصر أو الشهادة ولا شيء غير ذلك ، فثبتوا على دينهم وهم يومئذ ستة نفر ، فأما مرثد ابن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عهداً أبداً ، فقاتلوا وصبروا على القتال حتى رزقهم الله تعالى الشهادة أعزاء وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق ، فقد أسروهم وأخذوهم لبيبعوهم في مكة ، وفي الطريق انتزع عبد الله يده من وثاقه وأخذ سيفه ليقاتل فرماه المشركون بالحجارة حتى قتلوه شهيداً "رحمه الله" (٢) ، وأما زيد وعدي فشاء الله تعالى أن يباعا إلى أعداء الإسلام ليختبر صدق إيمانها وثباتهما عليه بطريقة غير القتال ، ألا وهي قدرة التحمل والصبر على تعذيب المشركين لهم ، فعندما أرادوا أن يقتلوا زيد بن الدثنة ، قالوا له: ( ارجع عن دينك المحدث واتبع ديننا ونرسلك قال: لا والله لا أفارق ديني أبدا . قالوا: أيسرك أن محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ قال: ما يسرني أن محمداً أشيك بشوكة وإني في بيتي . قال أبو سفيان بن حرب: لا ، ما رأينا أصحاب رجل قط أشد حباً من أصحاب محمد بمحمد ) (٣) فقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه صدق الإيمان الذي وقر في القلب فتكلم به اللسان وعملت به الأركان ، وأما خبيب بن عدي فأخذه مقيداً إلى التنعيم ليقتلوه ، فطلب منهم أن يصلي ركعتين فصلى ، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوتقوه ، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا ،

(١) ديوبه: ١٦٣ .

(٢) بظر: السيرة النبوية: ١٧٩/٣ - ١٨٠ .

(٣) المغدزي: ٣٦٢/أ . بظر: السيرة النبوية: ١٨١/٣ .

واقتلهم بددا ، ولا تُغادر منهم أحدا<sup>(١)</sup> ، فشرعوا في تعذيبه ﷺ فأخذوا يُقطعون لحمه ، ظانين انهم بفعلهم هذا سوف يستطيعون مساومته على ترك دينه ، لكنهم خابوا وخسئوا فهو مؤمن صادق لا يرضى المساومة على دينه ولا يتنازل عن عقيدته مهما فعلوه به ، فهو صابرٌ على هذا الأذى ، قد جعل من الصبر جنته وسلاحه ، وملجأ وملاذه ، فان قيل فهو شهيدٌ في سبيل الله تعالى<sup>(٢)</sup> ، وقبيل استشهاده وفي لحظاته الأخيرة انشد هذه الأبيات التي وثق بها حاله عندهم ، حتى تكون موعظة وعبرة للدعاة المسلمين ، فقال<sup>(٣)</sup>:

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبَسُوا  
وَكُلَّهُمْ مُبِدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدًا  
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي  
فَذَا الْعَرْشِ، صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ  
وَقَدْ خَرَّوْنِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ  
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ، إِنِّي لَمَيْتٌ  
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا  
فَلَسْتُ بِمَبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَحْتَشَعًا

قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ  
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَضِيْعٍ  
وَقُرْبَتُ مِنْ جِدْعٍ طَوِيلٍ مُنْتَعٍ  
وَمَا أَرْصَدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَضْرَعِي  
فَقَدْ بَضَعُوا لِحْمِي وَقَدْ يَأْسُ مَطْمَعِي  
يُبَارِكُ عَلَيَّ أَوْصَالُ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ  
وَقَدْ كَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مُجْزَعٍ  
وَلَكِنْ حِذَارِي جَعَحَمَ نَارٍ مُلْفَعٍ  
عَلَيَّ أَيَّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي  
وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

إن موقف خبيب هذا يُثير العجب ، ويدعو إلى الدهشة ، عندما تحمل هذا الأذى والعذاب وهو ثابت صابرٌ على ذلك دون جزع أو خوف وهو في بداية إسلامه . إنها

(١) يُنظر: السيرة النبوية : ١٨١/٣ - ١٨٢ .

(٢) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٨٠ د. سامي مكِّي العاني .

(٣) السيرة النبوية: ١٨٥/٣ - ١٨٦ . يُنظر: الاستيعاب: ٤٤١/٢ ، أسد العابة: ١٢١ - ١٢٢ ، يُنظر: نهاية الأرب:

١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٥٤١/١ - ٥٤٢ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء

الراشدين : ٧٥ . شعر أبيام الإسلام ، من المحررة النبوية حتى نهاية حروب الردة ١٢ هـ ( دراسة تحليلية توثيقية - جمع

وتحقيق ) : ١٥٣ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ، نامي ابراهيم العبيدي ، ١٩٩٥ .

العقيدة الصادقة التي غيرتهم وأبدلتهم خلفاً آخر<sup>(١)</sup> ، فاثبت صحابة رسول الله ﷺ صدق إيمانهم وثباتهم على دينهم الحق .

كذلك كانوا ﷺ يتسابقون في تلبية نداء رسول الله ﷺ إذا ما سيرهم أو أمرهم في جيش يسعى لتحقيق نشر الرسالة الإسلامية ، وكل قائد يخرج لهذه المهمة نرى الصبر عنده زاده وعتاده ، ومن لا يملك الصبر لا يستطيع مواصلة القتال ضد الأعداء ، فكان قادة مؤتة ﷺ ممن تحلوا بالصبر وجعلوا منه سلاحهم وهم يقاتلون الأعداء ، ولولا الصبر ما استطاعوا مواصلة القتال ، لان الصبر هو أساس الشجاعة ، وهي منه تولد<sup>(٢)</sup> ، فهذا كعب بن مالك يصور لنا صبر هؤلاء القادة الثلاثة وهم يقاتلون الأعداء فقال وهو يدعو له برحمة الله تعالى الواسعة ، فقال<sup>(٣)</sup> :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ      وَسَقَىٰ عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمَسْبِلُ  
صَبَرُوا بِمُوتَةٍ لِلْإِلَهِ نَفُوسَهُمْ      حَذَرَ الرَّدَىٰ وَمَخَافَةَ أَنْ يَنْكَلُوا

ومن هؤلاء الذين أظهروا صبراً عجيباً يفوق الخيال جعفر بن أبي طالب ﷺ فعندما استشهد زيد بن حارثة أخذ الراية وتقدم بها نحو الأعداء يقاتلهم وكان اللواء يومئذ يمينه فقطعها العدو فلم يجزع من مصابه بل صبر على ذلك واحتسبها في سبيل الله تعالى ، فأخذها بشماله وهو يتقدم الصفوف ، وسرعان ما قطعت الشال لتلحق بأختها اليمنى ، فهل سيواصل جعفر مسيرته ويصبر على فقدته كلتا يديه أو انه سيجزع ويتراجع؟ بل صبر على ما فقد واحتضن الراية بعضديه وواصل تقدمه نحو الأعداء ، وما تقدمه هذا إلا ثمرة من ثمار الصبر<sup>(٤)</sup> ، فما زال حاملاً راية المسلمين حتى استشهد ﷺ فهذه زوجه

(١) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٨٠ ، د. سامي مكي العاني .

(٢) يُنظر: مصول في لامية والامير: ٢٢ .

(٣) ديوان كعب: ٢٠٥ .

(٤) يُنظر: مصول في لامية والامير: ٥٧ .

أسماء بنت عميس (١) تؤكد لنا صبره هذا حين قاتل برأية المسلمين وهو يتقدم الصفوف ، فقالت وهي تكيه (٢) :

فَأَلَيْتِ لَا تَنْفُكُ نَفْسِي حَزِينَةً      عَلَيَّكَ وَلَا يَنْفُكُ جِلْدِي أَعْبَرًا  
فَلَلَّهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى      أَكْرَ وَأَحَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرًا

إنَّ وضوح الغاية التي يقاوتون من أجلها وهي إعلاء راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله جعلتهم يواجهون أقدارهم بروح ملؤها العزيمة والصبر دون أن تهزها المواقف العصبية أو اللحظات الحاسمة (٣) ، فبنو سليم كان لهم موقف مشرف في معركة حنين ، إذ نبتوا مع رسول الله ﷺ في جهادهم الأعداء بقودهم الضحاك فقاتلوا وقتل منهم من قُتل ، فما تقهقروا ولا ترددوا بل صبروا وثبتوا وهم يدافعون عن الإسلام والمسلمين ، فما كان لديوان مجد العرب وسجل حروبهم إلا أن يوثق هذا الموقف المشرف لبني سليم وقائدهم في صبرهم وثباتهم مع رسول الله ﷺ قال العباس بن مرداس (٤) :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ      إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنَّفُوسِ الْأَضَالِعُ  
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفْزِنَا      قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ  
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا      لَوَاءُ كَحُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ  
عَيْشَةُ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَمِنٌ      بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعٌ (٥)  
نَدُودُ أَحَانَا عَنْ أَحِينَا وَلَوْ نَرَى      مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ تَتَابِعُ

إنَّ صبر المجاهدين وثباتهم على دينهم لازمهم طيلة مسيرتهم للجهاد ، لم يضعف ولم يتغير حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ وكيف يضعف وهو جزء من عقيدتهم ، يضعف

(١) هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك ، كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها ، فولدت له هناك عمداً أو عبد الله وعونا . يُنظر: الإستهيعاب: ٤/ ١٧٨٤ - ١٧٨٥ ، وأسد العاربة: ١٤/٧ -

١٥ ، والإصابة: ٨/ ٨ - ٩ .

(٢) محمد ديوان أشعار النساء: ٧٢ .

(٣) يُنظر: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٥ .

(٤) ديوان: ٨١ - ٨٢ .

(٥) كانع: دن . يُنظر: اللسان: ٣٩٣٩/٥ (كنع) .

إذا ضعف إيمان المؤمن ، وقوته من قوته ، قال الإمام علي عليه السلام مُبيناً أهمية الصبر وارتباطه بالإيمان: ( أَلَا إِنَّ الصَّابِرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، ... ، أَلَا إِنَّهُ لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ ) (١) ، لكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا صدق إيمانهم يوم أن صبروا وتمسكوا بدينهم في أشد المواقف وأصعبها ، فعندما توفي صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض القبائل ، وثبتت أخرى ، وكان لبعض المؤمنين أثر في ثبات بعض هذه القبائل ، فهذا الجارود (٢) ممن أسلم على يدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم وثبت على إسلامه حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فكان له دور مهم في ثبات عبد قيس وهي من القبائل التي تسكن البحرين (٣) ، فبعد أن بلغهم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لو كان محمد نبياً لما مات ، فقام فيهم خطيباً فقال: يا معشر عبد القيس ، إنني سائلكم عن أمر فاخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا ، قالوا: سل عما بدا لك ، قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا: نعم ، قال: تعلمونه أو ترونه ؟ قالوا: لا ، بل نعلمه قال: فما فعلوا ؟ قالوا: ماتوا ، قال: فإن محمداً عبده ورسوله ، قالوا: ونحن نشيد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن سيدنا وأفضلنا ، وثبتوا على إسلامهم (٤) .

لكن هذا الثبات أزعج بقية القبائل التي ارتدت عن دينها ، فخرج الحُطَم بن ضبيعة فيمن تبعه من بكر بن وائل على الردة ، واجتمع إليه أيضا من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا حتى نزل القطيف و هجر (٥) ، ثم حاصر الجارود ومن معه من المسلمين في

(١) سنة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ٨١ ابن قيم الجوزية .

(٢) هو الجارود بن المعلی ، ويقال ابن عمرو بن المعلی ، وقيل الجارود بن العلاء ، وقيل اسمه بشر بن جيش ، وكان نصرانياً وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبد القيس وسر النبي بإسلامه ، وكان حُسن إسلامه ، وهو صهر أبي هريرة رضي الله عنه وألف ما حارود لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم فقال الشاعر:

مذ صنهم بالخیل من كل جانب  
كما جرّد الجارود بكر بن وائل

وقيل لُقّب بذلك أن بلاد عبد القيس أجدت وبقي للجارود بقية من إله فتوجه بها إلى بني قديد بن شيبان وهم أخواله بحرب أهل أخواله ، فقال الناس: جرّدهم بشر ، فلُقّب بذلك ، وقتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين من خلافة عمر رضي الله عنه من الخطاب رضي الله عنه . يُنظر: الإصانة: ٢٢٦/١ .

(٣) يُنظر: معجم البلدان: ٨٤/٣ .

(٤) يُنظر: تاريخ الطبري: ٣/٢٥٤ ، ويُنظر: أيام العرب في الإسلام: ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥) الفجر: مدينة وهي قاعدة البحرين . يُنظر: معجم البلدان: ٤٦٨/٨ - ٤٦٩ .

جؤاثي<sup>(١)</sup>، واشتد عليهم فما ارتدوا عن دينهم بل ثبتوا وصبروا على قتالهم حتى سالت دماؤهم من كل فج وبدت كأنها شعاع الشمس من كثرتها ، فما زادهم ذلك إلا صبراً وثباتاً على دينهم ، مستمدين العزم من عند الله تعالى، فيذا شاعرنا عبد الله بن حذق يصور لنا صبرهم وثباتهم ، فقال<sup>(٢)</sup>:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا      وَفِيَّانَ الْمَدِينَةَ أَجْمَعِينَ  
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمٍ كِرَامٍ      قُعُودٌ فِي جُؤَاثِي مُحْصَرِينَ  
كَانَ دِمَاءُهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ      شُعَاعُ الشَّمْسِ يَغْشَى النَّاطِرِينَ  
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا      وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ

ولأهمية الصبر كان المجاهدون يتواصلون به في معاركهم التي يخوضون غمارها ضد أعداء الإسلام ، فإذا ما رأى أحد المقاتلين أن عدوهم قد نال منهم قام خطيباً في المجاهدين مذكرهم الصبر والثبات في القتال ، ففي إحدى معارك المسلمين التي خاضوا غمارها ضد أعدائهم الفرس والروم المغتصبين أرض الشام العربية ، دعا أبو عبيدة ضرار بن الأزور وضم إليه مائتي فارس وأمره بالمسير لقتال الأعداء ، وفي الطريق باعتهم العدو الهجوم ، فصاح ضرار وقال: يا فتیان العرب إن أعداءكم قد هاجموكم على حين غفلة منكم ، وإن هذه أفضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تغفلوا فأنتم تعلمون أن النبي ﷺ قال: " الجنة تحت ظلال السيوف " <sup>(٣)</sup>، وقد قال تعالى: ﴿ كُمْ مِنْ قِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ قِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> فلما سمع ربيع بن معمر بن أبي عوف ابن عمر بن ربيعة ، ضراراً وهو يحرض المسلمين قال: يا فتیان المسلمين لئن تكالوا الجنة إلا بالصبر على المكاره ، والله لئن يدخلها من هو للجهاد كاره ، فقال <sup>(٥)</sup>:

(١) جؤاثاء: هو حصن لعبد القيس بالبحرين . يُنظر: معجم البلدان: ٨٤/٣ .

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٢٥٦ ، الكامل في التاريخ: ٢/٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) صحيح مسلم: ٣/١٣٦٢ .

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٤٩ .

(٥) نوح الشام: ١/٢٦٨ .

## وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ وَلِكِنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

وأعلى الدرجات درجة الشهادة ، فارضوا عالم الغيب والشهادة ، فهذا الجهاد وقد قام على ساقه وكسر النفاق في أسواقه واختفى بنفائه في أنفاقه أمّا انتم أصحاب بني العصر ؟ ولِمَ يُنْسَم من الثبات والنصر ؟ ... ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُولُوا الْأَدْبَارَ فَتَسْتَوْجِبُوا غَضَبَ الْجِبَارِ ، واعلموا أَنَّ النصر والثبات ضدان منصوران فمن طلب دار البقاء هان عليه الملتقى فصححوا طلبتكم تتالوا رحمة ربكم ، وحققوا حملتكم تتالوا بغيتكم ، واطعنوا النحور تتالوا الحور وتسكنوا القصور ، وقوموا الأسنة تتالوا الجنة واعتمدوا على الصبر تتالوا النصر ، ... فحمل الجند المسلمون على الأعداء <sup>(١)</sup> ، فتقدم المقاتلون وهم يجسودون بنفوسهم في سبيل الله تعالى ، فجرت الحرب بما يوصف وضرار فيهم كأنه النار في الحطب اليابس <sup>(٢)</sup> ، هكذا يؤدي الصبر دوره في الهاب حماس المجاهدين وتعزيز روح الاندفاع في نفوسهم لمواصلة الجهاد وقتال الأعداء أملاً في نيل الشهادة لذلك نرى أحدهم يفقد أجزاءً من جسده دون أن يجزع أو ينفقه بل نجده صابراً يُعاني آلامه في صمت وسكون <sup>(٣)</sup> ، لأنه جعل من الصبر دواء لجراحه ، ولعل موقف حياض القشيري <sup>(٤)</sup> هو خير شاهد على ذلك ، يوم أن شارك في معركة اليرموك <sup>(٥)</sup> ضد الغزاة الروم ، فقاتل الأعداء بشجاعة وثبات وظل يقاتل حتى فقد رجله ، فلم يجزع ولم يتردد عن مواصلة القتال ، بل واصل تقدمه مُصَبِّراً نفسه على ما أصابه ومرغيبها في الجهاد فهو فارس

شجاع ، فانشد قائلاً <sup>(٦)</sup>:

أَقْدِمُ حَذَامَ إِمَّا الْأَسَاوِرَةَ      وَلَا تَغْرَنَّكَ رَجُلٌ نَادِرَةٌ  
أَنَا الْمُشِيرِيُّ أَخُو الْمُهَاجِرَةِ      أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْكَافِرَةِ

(١) يُصر: فتح الشام: ٢٦٧/١ - ٢٦٨ .

(٢) يُظر: المصدر نفسه: ٢٦٩/١ .

(٣) يُظر: البطولة في الشعر العربي: ١٤ ، د. شوقي ضيف .

(٤) هو حياض بن قيس بن الاعور بن قشير بن كعب القشيري . الإصابة: ٦٨/٢ .

(٥) كانت للعرب على الروم سنة ١٣ هـ ، واليرموك واد باحجة الشام ينتهي إلى نهر الأردن . ينظر: تاريخ الطبري: ٣٢/٤ -

٤٧ ، والكامل في التاريخ: ٤١٠/٢ ، ومعجم البلدان: ٤٩٩/٨ .

(٦) بجمانة: ٦٨/٢ .

فاستشهد من مصابه "رحمه الله تعالى" فافتخر به المسلمون وجعلوا منه مثالا للصبر

والإقدام فهذا سوار بن أبي أوفى يفتخر به قائلا<sup>(١)</sup>:

وَمِنَّا ابْنُ عَتَابٍ وَنَاشِدُ رِجْلِهِ      وَمِنَّا الَّذِي أَدَى إِلَى الْحِجَابِ حَاجِبًا

فالصبر له أثره المهم في حسم المعارك حتى قيل إن ( النصر مع الصبر )<sup>(٢)</sup>،

فكان وصية الخلفاء لإمراء الجيوش ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد ابن أبي وقاص ،لذي أمره على جيش المسلمين الذاهب إلى قتال الفرس في القاسية ، فقال له: ( إِنِّي وَلِيْتُكَ حَرْبَ الْعِرَاقِ ، فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي فَإِنَّكَ تُقَدِّمُ عَلَى أَمْرٍ كَرِيهٍ شَدِيدٍ لَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَعَوِّدْ نَفْسَكَ وَبِنِ مَعَكَ الْخَيْرَ ، وَاسْتَفْتَحْ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَادًا ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ يَجْتَمِعُ لِكَ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ: فِي طَاعَتِهِ وَفِي اجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مِنْ أَطَاعَتِهِ بِيَغْضُ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ الدُّنْيَا وَبِغْضِ الْآخِرَةِ ، ... ، فَاعْتَبِرْ مَنزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يُشْرِعُ مَعَكَ فِي أَمْرٍ )<sup>(٣)</sup> . فالتقى الجيشان وتصافحت سيوف الفرسان ، وطالت أيام المعركة ، ومن لم يجعل الصبر زاده فيها فلا يستطيع مواصلة القتال لان أي زاد دون الصبر ينفذ ، فهذا عمرو بن معد يكرب استطاع مواصلة قتال الأعداء لأنه اتخذ من الصبر زاداً أمده بقوة لمواصلة قتالهم ، واستطاع طعنهم بالرمح ، وضربهم بالسيف حتى تبدد جمعهم ، وما ذلك كله إلا بفضل الصبر ، قال<sup>(٤)</sup>:

صَبْرْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَةِ مُعَلِّمًا      وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يَصْبِرِ النَّاسُ يَصْبِرُ  
وَطَاعَتُهُمُ بِالرَّمْحِ حَتَّى تَبَدَّدُوا      وَضَارِبَتُهُمُ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكْسَرُوا

(١) حكمة: ٦٨/٢ .

(٢) عيون الاحبار: ٢٠٦١ لابن قتيبة الديوري .

(٣) تاريخ الطبري : ٨٥/٤ .

(٤) شعره: ١٧٨/٥ .

وهذا عفاق واحد من عشرة أخوة من بني كاهل يُقال لهم بنو حرب خاض المعركة وكان يُصبر نفسه على شدتها وقسوتها ، فهو فارس شجاع وبيده صارم رقرق فلا يسهب الموت ، فقال (١):

أَنَا ابْنُ حَرْبٍ وَمَعِيَ مَحْرَاقِي      أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمِ رَقْرَاقِ  
أَذْكُرُهُ الْمَوْتَ أَبُوهُ اسْحَاقُ      وَجَاشَتْ النَّفْسُ عَلَيَّ التَّرَاقِي  
صَبْرًا عِفاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ

وما زال يُقاتل الأعداء حتى قُطعت رجله ، لكنه لم يُعر لها بالأ فواصل تقدمه نحو الأعداء صابراً على ما أصابه ، فانشد (٢):

صَبْرًا عِفاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ      صَبْرًا وَلَا تَغْرُوكَ رِجْلُ نَادِرَةِ

فمات شهيداً من مصابه " رحمه الله تعالى " (٣).

ويُطعن علباء بن جحش العجلي في بطنه فتتدلق أمعاؤه ، لكنه لم يجزع ولم يتردد عن مواصلة القتال ، بل صبر على ذلك محتسباً ما أصابه في سبيل الله تعالى (٤) ، فلم يتوان عن قتال الأعداء فانشد وهو في أنفاسه الأخيرة (٥):

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّي ثَوَابًا      قَدْ كُنْتُ رَمَنْ أَحْسَنَ الصِّرَابَا

هكذا هم مجاهدوا صدر الإسلام ، وهذا هو حالهم مع الصبر ، به تحملوا أذى قريش لهم وثبتوا على دينهم ، وبه قاتلوا الأعداء وانتصروا عليهم وواصلوا تقدمهم نحو الأعداء حتى أنالهم الله تعالى رقابهم ، وما كان هذا كله ليتم لهم لولا صبرهم الذي تعلموه من مدرسة الإسلام ، مدرسة رسول الله ﷺ فهو قوتهم في الصبر في سبيل الدعوة الإسلامية .

(١) تاريخ الطبري : ١٢٩/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٩/٤ .

(٣) يُنظر: المصدر نفسه .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٧٠ د. سامي مكِّي العايي . وشعر العقيدة: ١٧٥ ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٦٢ .

(٥) تاريخ الطبري : ١٢٢/٤ .

## ٢. الإقدام :

لون من ألوان البطولات التي تحلى واتصف بها شهداء صدر الإسلام في حروبهم مع رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده ، فهم حين يخوضون ساحات الوغى لا ينتظرون قدوم العدو نحوهم فيقتلهم دون أن يُقاتلوه ، بل كانوا يتقدمون الصفوف ويحملون الراية ويقاتلون الأعداء حتى النصر أو الشهادة فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (١) فنحن نرى أن الله تعالى قد قدم قتالهم في سبيل الله تعالى الأعداء فيقتلونه ويقتلهم ، فقدّم قتلهم الأعداء قبل قتل الأعداء لهم ، فهذا دليل على شجاعة الشهداء وإقدامهم نحو العدو ، فهم يُعاجلونه ويسبقونه في القتل ولا ينتظرون منه ذلك ، وسيوضح لنا ذلك من خلال أمثلة من شعرهم تبين لنا إقدامهم نحو العدو عاكسين لنا ثقتهم بالله تعالى الذي ينصرهم على عدوهم ، فكانت غزوة بدر التي التقى فيها الفريقان ، فريق الحق والإيمان وفريق الكفر والإلحاد على غير موعد مسبق بينهما لتظهر حكمة الله تعالى لأهل البصيرة في كل زمان ومكان ، وهي أن أسباب النصر ليست بأسبابها المادية الظاهرة ، بل في جوهرها وحقيقتها ، في الإيمان الصادق والتوكل على الله تعالى (٢) ، فعندما دعا عبئة إلى المبارزة ، خرج إليه عبيدة وعلي وحمزة ، ملينين هذا النداء لأن المبارزة قيمة ( خلقية تمسك بها فرسان العرب ) (٣) ، فهذا عبيدة يصور لنا استجابتهم لنداء المبارزة فتقدموا طائعين راغبين غير مكرهين ، فهم أسود تقاتل في سبيل الله تعالى فما زالوا يُقاتلون حتى قتلوا أعداءهم ، فقال (٤) :

وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قِتَالُهُمْ  
وَلَمْ يَشِغْ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَاءَنَا  
لَقِينَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَخْطِرُ بِالْقَيْنَا  
غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا  
ثَلَاثَتَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمُنَادِيَا  
لُقَاتِلَ فِي الرَّهْنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا

(١) سورة التوبة: الآية ١١ .

(٢) يُنظر: رياض الفالحين وسمار السالكين: ٢٨٤ .

(٣) الفروسية في أدب ق ١هـ / ٧٥ .

(٤) نسخة السوية : ٢٥/٣ ، الروض الأنعف : ٣٣٠/٥ ، البداية والنهاية : ٣٣٧/٣ ، شعراء الرسول : ٢٦٣ .

فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم ، وقال : " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة " (١). فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وانطلق نحو الأعداء يقاتلهم يبغي ما عند الله تعالى (٢) ، فارتجز قائلاً (٣) :

رَكُضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ  
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ وَكُلُّ زَادٍ غُرْضَةُ التَّقَادِ  
غَيْرِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

فقاتل الأعداء حتى قُتِلَ ﷺ فقد جعل زاده من الدنيا العمل الصالح فهو الزاد الذي لا ينفد ، وهو الذي يرافقه إلى يوم الحساب .

فكان النصر حليف المسلمين وانهزمت جموع الكفر والإلحاد وهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة ، فاستند حقدهم وكرهيتهم للمسلمين ، فجمعوا أمرهم لحرب المسلمين والثأر لقتلهم ، فعسكر الجيشان عند أحد ، وكل قائد منهم يحرض جنده للقتال ، فقائد المسلمين رسول الله ﷺ يحض أصحابه على الجهاد ، ويدفعهم إلى الاستعداد والتهيؤ له ، ويدعوهم إلى استكمال ثقافتهم العسكرية لمواجهة عدوهم ، مقبلين غير مدبرين ، فكان لهذه التعاليم أثرها في نفوسهم ، فكان الجهاد بلورة نورانية تجذب المسلمين وتلهب مشاعرهم نحو مواجهة عدوهم ، فأصبحت الدنيا عندهم مجازاً للآخرة ، إلى الجنة فيعيش من عاش منهم سعيداً ، ومن مات منهم فهو شهيد عند الله تعالى (٤) ، قال كعب بن مالك مجسداً ذلك (٥) :

(١) التمهيد لابن عبد البر: ٩٩/٢٤ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٧٩/٢ ، وتاريخ الطبري: ٢٨١/٢ ، والأغاني: ١٩٢/٤ - ١٩٣ .

(٣) تاريخ الطبري: ٢٨١/٢ ، الأغاني: ١٩٥/٤ ، يُنظر: أسد الغابة: ٢٩١/٤ ، البداية والنهاية: ٢٧٧/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٣١/٥ .

(٤) يُنظر: شعر الفوح الإسلامية: ٣٥ - ٣٦ .

(٥) دبراه: ١٥٧ - ١٥٨ .

وَأَشْيَاعٌ أَحْتَدَ إِذْ شَايَعُوا      عَلَيَّ الْحَقُّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ  
فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ      وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمَرْهَجِ

غير مباليين بفكرة الموت أو الخوف منه ، إذ عرفوا أن خير الموت أن يقتل المسلم في ساحة الجهاد (١) ، فأبو دجاجة الأنصاري (٢) صحابي جليل كان له أثر مشهود في معركة أحد أظهر فيه صدق إيمانه وطاعته لرسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه متقدما صفوف الأعداء (٣) ، ففي هذا اليوم قال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجاجة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به القوم حتى ينثي ، قال : أنا أخذ ه يا رسول بحقه ، فأعطاه إياه وكان أبو دجاجة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان إذا علم بعصاة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقا تل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه (٤) ، ( فقالت الأنصار أخرج أبو دجاجة عصابة الموت ) (٥) ، فجعل يتبختر بين الصفيين ، فلما رآه النبي ﷺ ، قال : " إنَّها مشية يبغيضها الله إلا في هذا الموضع " (٦) .

فأقتل الناس حتى حميت الحرب ، وقا تل أبو دجاجة حتى أمعن في الناس فأخذ يردد (٧) :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي      وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى التَّخِيلِ

(١) يُعْر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

(٢) هو سماك ابن عرشة ، ويقال سماك بن أوس بن عرشة بن لؤذان ، وهو مشهور بكهنة أبو دجاجة ، شهد بدرًا ، وكان أحد الشجعان له مقامات محمودة في معازي رسول الله وهو من كبار الصحابة ، استشهد يوم البمامة . يُنظر: الاستيعاب: ٦٥١/٢ - ٦٥٢ ، والإصابة: ٥٧/٧ .

(٣) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

(٤) يُنظر: السير والمغازي: ٣٢٦ ، والسير النبوية: ٧١/٣ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ١٧١ . ودراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ ، وشهداء الإسلام في عصر النبوة: ١٥١ .

(٥) السير النبوية: ٧٣/٣ ، الروض الأنف: ٤٣٠/٥ ، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٨٨/١٧ ، لسبب الأدهاب: ١٧٧ للأمر بن مقد .

(٦) مجمع الزوائد: ١٠٩/٦ .

(٧) السير النبوية: ٧٣/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٨٨/١٧ ، سير أعلام السلاء: ٢٤٥/١ ، سطر النجوم: ٨٣/٢ . ويُنظر: لباب الأدب: ١٧٧ .

## أَلَا أَقَوْمَ الدَّمَرِ فِي الكَيُولِ      أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ والرُّسُولِ

إنَّ أبا دجانة عزم على نفسه أن لا يكون في الصفوف الأخيرة في ميدان الجهاد ، بل لأبَد أن يقذف بنفسه في الصفوف الأمامية ، يضرب بسيف الله والرسول ، جهاداً في سبيل الله وإعلاء لكلمته العليا ، ودفاعاً عن المسلمين ، فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلا قتلته<sup>(١)</sup> ، وأمثال أبو دجانة كثير من الصحابة الكرام الذين أثبتوا صدق إيمانهم واستعدادهم لمواجهة أي عدوان خارجي يدنو منهم ، لكنهم إزاء هذه الحروب الخارجية لم ينسوا المؤامرات والدسائس التي يقوم بها اليهود وذلك عندما حرضوا قريش وحزبوا الأحزاب لقتال المسلمين ، فلما سمع بهم النبي ﷺ وما أجمعوا له ضرب الخندق حول المدينة وعمل فيه ترغيباً للمسلمين فعمل معه المسلمون<sup>(٢)</sup> ، لكنه ﷺ رأى ما بهم من النصب والجوع فقال مرغباً وداعياً لهم: " اللهم إني العيش عيش الأخره فاغفر للأنصار والمهاجرة " <sup>(٣)</sup> ، فلما سمع الصحابة الكرام منه هذا الكلام أكدوا طاعتهم له في الجهاد والإقدام وبايعوه على ذلك ، فقالوا<sup>(٤)</sup>:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا      عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

فهؤلاء الرجال قد تذوقوا في حلوة الجهاد والإقدام ( لونا لم تكتحل به عيونهم بعد أن تفتحت البصائر وتألقت نوازع التضحية وهي تحمل نسف الحياة الجديد ) <sup>(٥)</sup> ، فعندما دارت الحرب بين جموع الكفر والنفاق وبين حصن العقيدة والإيمان كان سعد بن معاذ من المجاهدين الذين بايعوا محمداً ﷺ على الجهاد والإقدام نحو قتال الأعداء ، فتروي لنا أم المؤمنين عائشة "رضي الله عنها" وقد كانت في حصن من حصون الخندق إنَّ سعداً مرَّ

(١) يُظر: السيرة النبوية: ٧٣/٣ .

(٢) يُظر: السيرة النبوية: ٢٢٥/٣ - ٢٢٧ ، ويُظر: تاريخ الإسلام ( المعاري ) : ٢٨٣ - ٢٨٥ .

(٣) صحيح البخاري: ١٥٠٤/٤ .

(٤) تاريخ الإسلام ( المعاري ) : ٢٩٨ ، البداية والنهاية: ٩٥/٤ ، سبط الحوم: ١٢٨/٢ .

(٥) شعر الحروب في عصر الرسالة: ٤١ .

وعليه درع قصيرة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربة يُسرع بها نحو العدو <sup>(١)</sup> ، وهو يُردد <sup>(٢)</sup> :

لَبَّثُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ      لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَبَانَ الْأَجَلَ

وهنا يأتي دور المرأة المسلمة المؤمنة بالله تعالى ، التي طالما رأيناها ملهمة الشعراء نراها اليوم جنديا إسلاميا وهي تلهم الأبطال على الإقدام نحو ساحات الوغى <sup>(٣)</sup> ، فقالت له أمه: الحق بني ، فقد والله أخرت ، فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل ، رماه حبان بن قيس بن العرقة <sup>(٤)</sup> ، فاستشهد من مصابه <sup>(٥)</sup> بعد أن أراه الله تعالى هلاك بني قريظة <sup>(٥)</sup> .

ولنا دائما في مدرسة رسول الله ﷺ مواقف مشرفة ومتألقة يُقبل إلينا كثير من صحابته واتباعه ، وهم يعلمون علم اليقين أنهم ماضون فيها إلى الموت ، ومع ذلك عزموا وأقدموا يرتشفون رحيق الشهادة ، فيلاقوا مصارعهم فرحين مستبشرين فرحين ما عند الله تعالى <sup>(٦)</sup> ، ففي السنة السابعة من الهجرة خرج رسول الله إلى خيبر ليؤدب اليهود ، وكان قد خرج معه الصحابي المجاهد عامر بن الأكوع <sup>(٧)</sup> ، ومضى جيش

(١) يُنظر: المغازي: ٤٦٩/٢ ، السيرة النبوية: ٢٣٧/٣ ، سير اعلام النبلاء: ٢٨١/١ ، وتاريخ الإسلام (انصاري) : ٢٩١ .

(٢) السيرة النبوية: ٢٣٧/٣ ، المنتظم: ٧٦٤/٢ ، أسد الغابة: ٣٧٤/٢ ، سير اعلام النبلاء: ٢٨١/١ ، تاريخ الإسلام (انصاري) : ٢٩١ ، وهذا البيت الذي نقل به سعد هو لـ (جمل بن سعد انه بن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن حاب الكلبي ) ، وقد على النبي ﷺ وعقد له لواء وشهد مع خالد بن الوليد الشاهد كلها . يُنظر: الاستيعاب: ٣٧٦/١ .

(٣) يُنظر: الطل في التراث العربي: ٣٩ - ٤٠ ، والفروسية في الشعر الجاهلي: ٥٣ ، د. نوري حمودي القيسي ، ودراسات في الشعر العربي القديم: ٨٣ ، د. محبت عبد العنور الخديبي .

(٤) هو حبان بن عبد مناف بن سفيان بن عمرو بن معيص بن عامر بن لوى ، الفرقة أمه ، وهي قُلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن مُصعب . يُنظر: الاستيعاب: ٦٠٢/٢ - ٦٠٣ .

(٥) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٧/٣ - ٢٦٢ .

(٦) يُنظر: الشهيد الجاهد المجاهد عامر بن الأكوع: ٧١ ( بحث ) د. احمد الشرباصي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، العددان ٢٩ - ٣٠ ، شعبان - رمضان ، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ .

(٧) هو عامر بن سنان ابن عبد الله بن قشمر بن... الأنصاري ، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، استشهد يوم خيبر . يُنظر: ابن سعد: ٣٠٢/٤ ، ويُنظر: الاستيعاب: ٧٨٥/٢ ، ويُنظر: أسد الغابة: ١٢٤/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٩/٤ .

الإيمان في طريقه ، ولما أصبحوا على مشارف خيبر أمر رسول الله ﷺ بالوقوف ، ثم قال : " اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقموا بسم الله " (١) ، فالتقى الجمعان ، جمع الإيمان وجمع الكفر والنفاق ، فقال رسول الله ﷺ : " الله اكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " (٢) ، وفي ساحة المعركة برز مرحب اليهودي ، وجعل يبتخر ويقول (٣) :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَيِّ مَرْحَبٍ      شَاكِي السَّلَاحِ بَطُلٌ مَجْرَبٌ  
أَطْعُنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أُضْرِبُ      إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَسَلَتْ تَحْرَبٌ  
إِنْ جُمِيَ لِلْحِمَى لَا يَقْرَبُ

فسمعه المجاهد عامر ، ( فلم يملك نفسه ، فسارع إلى الطاغية اليهودي ) (٤) وهو

يقول (٥) :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ إِيَّيْ عَامِرٍ      شَاكِي السَّلَاحِ بَطُلٌ مَغَامِرٌ

فتبارزا بسيفيهما ، فرجع سيف عامر إليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه <sup>١</sup> فشك المسلمون في استشهاده ، فقالوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سِلَاحُهُ ، حتى سأل ابن أخيه سلمة ابن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك ، واخبره بقول الناس ، فقال رسول الله : إنه لشهيد (٦) .

(١) سر النسائي : ٣٦٧/١ .

(٢) صحيح البخاري : ١٤٥/١ .

(٣) السيرة النبوية : ٣٤٧/٣ ، ويظر : طبقات ابن سعد : ١١٠/٢ ، والاعتصام : ٧٨٦/٢ ، والمتنظم : ٨١٥/٢ ، وتاريخ الإسلام ( المغازي ) : ٤٠٨ ، والبداية والنهاية : ١٨٧/٤ .

(٤) الشهيد الجاهد المجاهد عامر بن الأكوع : ٧٥ .

(٥) طبقات ابن سعد : ١١١/٢ ، الاعتصام : ٧٨٦/٢ ، المتنظم : ٨١٥/٢ ، تاريخ الإسلام ( المغازي ) : ٤٠٨ ، البداية والنهاية : ١٨٧/٤ .

(٦) يظر : السيرة النبوية : ٣٤٣/٣ ، وطبقات ابن سعد : ١١١/٢ ، وصحيح البخاري : ٢٢٧٧/٥ ، والاعتصام :

٧٨٧/٢ ، والمتنظم : ٨١٠/٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٧/٤ .

وَأَمَّنَالْ عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ تَخْرَجُوا مِنْ مَدْرَسَةِ الْإِسْلَامِ ،  
 مَدْرَسَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ نَرَاهُمْ يَتَقَدَّمُونَ الصُّفُوفَ نَحْوَ الْأَعْدَاءِ يَقْتُلُونَ  
 وَيُقْتَلُونَ ، عَاكِسِينَ لَنَا وَفَاءَهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي جِهَادِهِمْ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، بِإِيْمَانٍ صَادِقٍ  
 وَعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَيَتَجَلَّى لَنَا هَذَا الْوَفَاءُ فِي جَيْشِ مُؤْتَةِ الَّذِي يَقُودُهُ أَمْرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ الْثَلَاثَةِ ،  
 فَعِنْدَ مَسِيرِهِمْ إِلَى لِقَاءِ الْعُدُوِّ فِي الطَّرِيقِ بَلَّغَهُمْ عِدَّةَ عَدُوِّهِمُ الْهَائِلِ الَّذِي يَفُوقُهُمْ عِدَّةً وَعَدَدًا  
 فَاضْطَرَبَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا جَاءَ دَوْرَ الْقَائِدِ الْمَجَاهِدِ الْمُحِبِّ لِلشَّهَادَةِ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
 رَوَاحَةَ فِيهِمْ خَطِيْبًا ، وَذَكَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ وَلَا عُدَّةً ، بَلْ يَقَاتِلُونَ  
 الْأَعْدَاءَ بِإِيْمَانٍ صَادِقٍ وَعَقِيدَةٍ ثَابِتَةٍ ، فَكَانَ هَذَا سَلَاحَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى  
 عَدُوِّهِمْ ، وَانزَلَ مَلَائِكَتَهُ تُقَاتِلُ مَعَهُمْ ، كُلُّ هَذَا لِأَنَّهُمْ صَدَقُوا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى . فَهَدَاتْ نَفُوسَ  
 الْمَجَاهِدِ وَاطْمَأْنَنْتْ ، وَأَدْرَكْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ ، بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ ، فَقَالُوا  
 صَدَقَ وَاللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ <sup>(١)</sup> ، فَوَاصِلَ الْجَيْشِ سِيرَهُ نَحْوَ لِقَاءِ الْعُدُوِّ دُونَ إِيْطَاءٍ أَوْ تَرَدُّدٍ ، فَهَمَّ  
 يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَعَدُوَّهُمْ يَقَاتِلُ مِنْ أَجْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ <sup>(٢)</sup> ، فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ  
 يَصُورُ لَنَا إِقْدَامَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ عَدُوِّهِمْ وَحِرْصِهِمْ عَلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ <sup>(٣)</sup> :

جَلِبْنَا الْحَيْلَ مِنْ أَجْبًا وَفَرَعٍ	تُعَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ <sup>(٤)</sup>
حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَيْتًا	أَزَلُّ كَانَ صَفْحَتَهُ أَدِيمٌ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَيَّ مَعَانٍ	فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتَهَا جُمُومٌ <sup>(٥)</sup>
فُرُخْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتُ	تَنْفَسُ فِي مَتَآخِرِهَا السَّمُومُ
فَلَا وَأَبِي مَسَابٍ لِنَاتِنِسْهَا	وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَسْرٌ وَرُومٌ <sup>(٦)</sup>
فَعَبَانَا أَعْتَبْنَا فَجَاءَتْ	عَوَابِسَ وَالْغَبَارُ لَهَا بَسْرِيمٌ

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ١٧/٤ .

(٢) يُنظر: العروسة في أدب: ٤٤/١٥٠ .

(٣) ديوانه: ١٠٢ - ١٠٤ .

(٤) العُكُوم: الاحمال والاعداد التي فيها الاوعية من صفوف لاعنة . يُنظر: المساد: ٣٠٦١/٤ .

(٥) مدن مدينة في طرف نادية الشام للقاء الحجار من واحة نعاء ، معجم البلدان: ٢٨٥/٨ .

(٦) مآب مدينة في طرف الشام من واحة النقاء . يُنظر: المنصر عمه: ١٨٨/٧ .

بِيَدِي جَلَبَ كَانَ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ  
فَرَاضِيَةَ الْمَعِيْشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَنُهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَتِيمُ

(ومقطوعة ابن ربيعة هذه يدور الحديث فيها عن الخيل ، والمراد بطبيعة الحال أربابها، فنقدمها من تقدمهم ، وتجشمها للضعاب من تجشمهم ، واقتحامها قلب المعامع من تصميمهم على الجهاد في سبيل الله ، وبذل الأرواح رخيصة ابتغاء مرضاته ) (١)، فوصل الفريقان وتلاحم الجيشان ، جيش الإيمان وجيش الكفر ، وتزاحم رجال الإيمان وهم يخوضون مناهل التضحية بوجوه كريمة وعيون لامعة (٢)، وقد ( أخذ الإيمان بمجامع قلوبهم ، فجمع بينهم بما سن من نظم روحية واجتماعية دفعت في افئدتهم قوة معنوية عظيمة ، وحفزتهم للاندفاع إلى ما وراء تخوفهم ومواجهة الفرس والروم في أعقار دورهما ) (٣)، فبقيت وصية رسول الله ﷺ لأمرائه الثلاثة راسخة في أذهانهم ، فعليهم تقع مسؤولية نشر هذه ( الدعوة التي لا يستطيعون الانطواء عليها وحدهم وهي تتضوأ بدفئها ونورها في مواطن اعتقادهم ) (٤)، بل لا بد من حملها للناس الذين أعمتهم الضلالة وابتعدت عن نور الإسلام ، وسوف يظل الناس هكذا ما دامت ( قوى الشرك والطغيان تسعى لتحجيم مبادئ الدعوة الإسلامية ، واحتواء معانيها السامية ) (٥)، فهذا زيد بن حارثة أمير جمع المؤمنين يأخذ راية رسول الله ﷺ ويتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء ، لا يعرف للتردد معنى بل مضى يطاعن الأعداء حتى شاط في رماح الأعداء (٦)، فعز على المسلمين أن تسقط راية رسول الله ﷺ لما للراية من أهمية في حسم المعارك ، فالراية كانت وما تزال تُشكل ( رمزاً من رموز الرفعة ودليلاً من أدلة القيادة ووهجا تتجه إليها الأنظار عندما يشتد أوان الشد ، وأملاً تتعلق بها كل عيون المقاتلين ، لأن إخفاقاتها في سماء المعركة واستمرارها في العلو تعني المصاولة والمطاولة والصمود والانتصار ،

(١) ديوانه: ٦٦ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١٠٣/١٠٣ .

(٣) شعر الفتح الإسلامية: ٣٢ .

(٤) المصغر نفسه: ٣٣ .

(٥) شعر الحرب حتى ق ١٠٣/١٠٣ .

(٦) يُنظر: السيرة النبوية: ١٩/٤ .

وهذا ما كان يدفع المؤمنين إلى الحرص على ارتفاع الراية وهم يقدمون لها الدماء الطاهرة والنفوس العزيزة والجحافل المجاهدة (١)، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو فتى في الثالثة والثلاثين ، واندفع في غمار العدو ، وكانت له فرس شقراء ، فعقرها (٢) ، وهو أول فرس عقر في الإسلام (٣) ، فمضى يُقاتل الأعداء الكفرة فقد حان قتالها ، فأنشأ يرتجز في قتاله لهم (٤) :

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهُمَا  
كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا  
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتَهُمَا ضِرَابُهَا

فقتل منهم مقتلة عظيمة بسيفه الغمام ، فقد قط به جماجمهم في تلك المعركة فقال مثبتاً ذلك (٥) :

قَدْ عَلِمْتَ فَهَرَّ وَفَهَّرَ حَاكِمَهُ  
أَبَى مَنِيهَا فِي الدُّرَى وَالْفَلَصَمَةَ (٦)  
كَمْ قَطُّ مِنْ شَاكِلَةٍ وَجُجَمَةٍ

وما زال رضي الله عنه يتقدم صفوف الأعداء واللواء بيمينه ققطعت ، فأخذ اللواء بشماله فقطعت ، فأحطضه بعضديه ، حتى ضربه رجل من الروم ضربة قطعه بها نصفين (٧) ، 'رحمه الله تعالى' ، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الموقف ، فصوت الشعر يرتفع في كل موقف ، وهو يؤدي دوره في التعبير عن الحس القتالي والإيمان الصادق والعزيمة الرائدة (٨) ، التي كان عليها قادة مؤتة ، فهذا حسان بن ثابت يصور لنا جهاد جعفر وإقدامه

(١) شعر الحرب حتى ق ١٠٤ / ١٠٤ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٠/٤ ، وطبقات ابن سعد: ١٢٩/٢ ، وتاريخ خليفة: ٥٠/١ ، وتاريخ الإسلام (الغازي) : ٤٨٣ .

(٣) يُنظر: التنبه والأشرف: ٢٣٠ .

(٤) السيرة النبوية : ٢٠/٤ ، الروض الأنف: ٢٠/٦ ، الكامل في التاريخ: ١١٤/٢ ، غايمة الأرب في فنون الأدب:

٢٨٠/١١ ، ويُنظر: سر أعلام السلا: ٢١٠/١ ، وتاريخ الإسلام (الغازي) : ٤٨٣ ، البداية والنهاية: ٢٤٤/٤ ، حياصة

نصحابة: ٥٥٠/١ .

(٥) انشق في أخبار قريش: ٥٢٥ محمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق ، حورشيد احمد .

(٦) لعلصمة: الشرف والرفعة . يُنظر: اللسان: ٣٢٨١/٥ ( غلص ) .

(٧) يُنظر: السيرة لسوية: ٢٠/٤ ، وطبقات ابن سعد: ١٢٩/٢ ، وتاريخ البغدادي: ٥٥/٢ ، والاستيعاب: ٢٤٢/١ ،

ومكة والمدينة في جاهلية وعهد الرسول: ٥١٣ .

(٨) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١٠٤ : ٨١ .

نحو العدو وهو يقود المؤمنين إلى الموت دون خوف ، بل مضى يُطاعن الأعداء ، فقال<sup>(١)</sup>:

غَدَاةَ غَدَاةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ      إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيْبَةِ أَزْهَرُ  
أَغْرُ كَلْبُونَ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      شَجَاعٌ إِذَا سِيَمَ الظُّلَامَةَ مَجْسَرُ<sup>(٢)</sup>  
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ      بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْقَنَّا يَتَكَسَّرُ

وكعب بن مالك هو أيضا يؤكد الحقيقة ذاتها التي كان عليها جعفر في جهاده وإقدامه

نحو العدو وهو يقود المؤمنين ، فقال<sup>(٣)</sup>:

إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَانِيهِ      قَدْ دَامَ أَوْلَاهِمُ فَنَعَمَ الْأَوَّلُ  
حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصَّفُوفُ وَجَعْفَرُ      حَيْثُ النَّقَى وَعَثَّ الصَّفُوفُ مُجَدَّلُ

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، وكيف لا يأخذها وهي فرصته لنيل الشهادة التي طالما تمناها وحلم بها ورأوده طيفها ، أما الآن فهي أمامه تنتظر منه الإقدام نحوها ، لكن نفسه ترددت بعض التردد . فهل يقبل بهذا التردد ؟ لم يقبل به ولن يقبل به بل أقسم على نفسه أن تتقدم نحو الأعداء طائعة أو مكرهة ، وأخذ يلومها على كراهيتها الجنة ، فأنها ترددها في الإقدام عندما ذكرها بحقيقتها ، فهي لبيت إلا نطفة في سنة ، فقال<sup>(٤)</sup>:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَتَرْتَنِّي      لَتُنزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ  
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّكَّةَ      مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيَنِ الْجَنَّةَ  
قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتُ مُطْمَئِنِّئَةً      هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَتِّئِهِ

بعد أن حسم ابن رواحة تردد نفسه في الإقدام نحو العدو ، أراد أن يرغبها في الشهادة ، مذكراً إياها بمصير كل إنسان ، وخير هذا المصير أن يكون في سبيل الله تعالى

(١) ديوانه: ٩٨ .

(٢) بحسب: المقدم الجصور . يُنظر: اللسان: ٦٢٣/١ (حسب) .

(٣) ديوانه: ٢٠٥ .

(٤) ديوانه: ١٠٨ - ١٠٩ .

فيفوز المرء بالشهادة فهذا حمام الموت أمامك ، فتقدمي نحوه ونالي الشهادة والحقى بزيد وجعفر ، فطريقهما طريق الهدى ، فقال (١):

يَا نَفْسُ إِلَّا تَفْعَلِي نَمُوِي      هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ  
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيْتِ      إِنَّ تَفْعَلِي فِعْلُهُمَا هُـ سَدَيْتِ (٢)

إن ترد ابن رواحة في أول أمره لا يعني خوفه من الموت ، وكيف يخاف الموت وهو الوحيد من الجيش الذي لم يرض أن يرجع سالما عندما دعا لهم الناس بالعودة سالمين ، بل تمنى الشهادة بقوله (٣):

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً      وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزَّبَدَا

وهو الذي شجع الناس في مواصلة المسير لقتال الأعداء عندما علموا أن هرقل نزل في مائة ألف من الروم ، فقال لجم: (والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: أما ظهور وإمّا شهادة ، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس) (٤) . ولم يكن شعره ينبئ به بأنه كان يتخوف الموت (٥) ، فالموقف الذي مرّ به ابن رواحة قد مرّ به أعظم الشجعان ، فقد مرّ به عمرو بن الاطنابة الفارس الخزرجي والشاعر جاهلي قال (٦):

أَبَتْ لِي عِيفَتِي وَأَبَى بِلَاتِي      وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِاللَّيْلِ وَالرَّيْحِ  
وَأَقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَقَسِي      وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ  
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ (٧) ، لِنَفْسِي      مَكَانَكَ مُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرْجِي

(١) ديوانه : ٨٧ .

(٢) انصدر عنه .

(٣) انصدر عنه : ٨٨ .

(٤) السورة النبوية : ١٦/٤ - ١٧ .

(٥) مُنظر: شعر الحصرمين واثر الإسلام فيه: ٩٢ د. يحيى الجوزي.

(٦) عيون الاحبار: ٢٠٧/١ . ومُنظر: حماسة الحنزي: ١ ، شقيقين ، كمال مصطفى ، والعمد الفريد: ٦٧/١ ، والكمال في

التاريخ: ١٢٦/١ .

(٧) حشأت: نضعت وهضت حرعا وكراهة . مُنظر: اللسان: ٦٢٥١١ (حشأ).

ومرّ به فارس اليمن ، عمرو بن معد يكرب ، فقال (١):

فَجَاشَتْ إِيَّيْ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ      فَرُدَّتْ عَلَيَّ مَكْرُوهَهَا فَاسْتَقْرَّتْ

وكل من هؤلاء الأبطال كان يحث نفسه على الإقدام ، ومما تقدم يتضح لنا أن هذا الشعور طبيعي ليس مرده الجبن ، ولكنه التقدير الصحيح للموقف ، فإن مثل ذلك اليوم له مصيره الخطير ، فالقائد لا بدّ أن يدرك تماما أن أي خطأ في التقدير يجر قومه إلى كثير من الويلات والدمار ، أمّا الذي يتوجه إلى الحرب بشيء قليل من اللامبالاة ، فما أسهل اصطياده ، وما أهوته على أعدائه (٢) ، فعبد الله ما تردد لجبنه وإنما لقياس الأمور بمقياس صحيح ، يحفظ للمسلمين جمعهم .

إن في جهاد هؤلاء القادة وإقدامهم نحو الشهادة يتضح مفهوم الإقدام الذي تحدوا به الموت ، وتعاملوا بموجبه مع كل الأحداث ، وبه استهانوا بكل النوازع التي تحاول الاستحواذ عليها رغبات الدنيا الفانية (٣).

ومثل هذا التقدّم الذي تخلّى به قادة مؤتة ، اتصف به قائد مجاهد في غزوة حُنين مع رسول الله ﷺ وهو يقود قومه ويتقدم بهم صفوف الأعداء دون تردد أو خوف من الموت ، إنّه الضحّاك بن سفيان ، فهذا الشاعر المجاهد العباس بن مرداس يصور لنا قيادة الضحّاك لقومه وهو يتقدم بهم نحو الموت ، فقال (٤):

وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنْ مَشَّهَدْنَا      لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخِرُ  
إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مُنْخَضِرًا بَطَائِنُهُ      وَالخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَإِيرُ  
فِي مَازِقٍ مِنْ مَجَرِّ الحَرْبِ كُلِّكُلِّهَا      تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

لقد كان نشر مبادئ البداية والتوحيد الهاجس الوحيد الذي شغل مشاعر المسلمين وملاً حياتهم ، وهم يخوضون المعارك والغزوات التي خاضوها مع رسول الله ﷺ (٥) ، بل إن

(١) شعره: ٥٤ .

(٢) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٧١ - ٧٢ .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١هـ: ٨٨ .

(٤) ديوانه: ٥٥ .

(٥) يُنظر: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٠ .

نشر هذه المبادئ أصبح واجيبم المفروض عليهم بعد وفاته ﷺ ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكمل مهمة نشر الدعوة الإسلامية ، فسير الجيوش لهذه المهمة ، فهو أمير المؤمنين وعلى عاتقه تقع هذه المسؤولية ، (حفظ الدولة الإسلامية ، ووسع حدودها شرقاً وغرباً والدنيا تزحف إلى العرب من تحت أقدامه ، وهم يجيئونها فاتحين مجاهدين في الله ورسوله حتى الجهاد ، قد استحبوا الآخرة الباقية وأثروها على الدنيا الفانية ، فلهج العالم باسمه وجنوده منصوره في كل مكان ) (١) ومن هذه المنصورة ، جيشه الذي سيره إلى قتال الفرس في القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وفي كل لقاء بين الحق والكفر ، هناك قوافل المؤمنين الذين يتسابقون إلى المعارك ويتزاحمون لورود مناهل التضحية ، فيندفعون إلى عدوهم فيقتلونه أو يقتلهم ، يدفعهم صدق العقيدة التي يقاثلون من أجلها ويسعون لنشر مبادئها إلى أرجاء العالم ، مستمدين العزم من الله تعالى ، ومضحين بأعز ما يملكون فداءً لله تعالى ، فيذه الخنساء الشاعرة المعروفة تدفع بينيها الأربعة إلى الجهاد ليلة القادسية ، فقالت موصية لهم: ( يا بني ! إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله المسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستبصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سياقها ، وجلت ناراً على أوراقها ، فتمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ) (٢) . ( إلى الجلال وهم يتغنون بهذه النصيحة شعرا ملتهباً

(١) الرثاء: ٤٧ ، د. شوقي ضيف .

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٣٨٨/١ للعدادي ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، جمهرة النثر السعدي في العصر الإسلامي والأموي : ٩٤ رسالة دكتوراه - كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ليلي محمد ناظم الخبالي ، ١٩٩٤ .

بالإيمان ، يكشف عن تمكن روح الجهاد في نفوسهم وفعله بهم (١) ، فهذا أولهم نزل  
ساحة المعركة مقدما نحو العدو يُقاتلهم وهو يتذكر وصية أمه لهم ، فقال (٢) :

يَا إِخْوَتِي إِنْ الْعَجُوزَ النَّاصِحَةَ      قَدْ نَصَحْتَنَا إِذْ دَعَتْنَا الْبَارِحَةَ  
مَقَالَةَ ذَاتِ بَيَّانٍ وَأِضْحَةَ      فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ الضَّرُوسَ الْكَالِحَةَ  
وَإِنَّمَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّائِحَةَ      مِنْ آلِ سَاسَانَ الْكِلَابَ النَّابِحَةَ  
قَدْ أَيقِنُوا مِنْكُمْ بِوُقُوعِ الْجَائِحَةَ      وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ صَالِحَةَ  
أَوْ مَيِّتَةٍ تُورِثُ غَنَمًا رَائِحَةَ

فقاتل حتى قتل "رحمه الله" ثم حمل الثاني وهو يقول:

إِنَّ الْعَجُوزَ ذَاتَ حَزْمٍ وَجَلَدٍ      وَالنَّظَرَ الْأَوْفَقَ وَالرَّأْيَ السَّدَدَ  
وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّدَادِ وَالرُّشْدِ      نَصِيحَةً مِنْهَا وَبِرًّا بِالْوَلَدِ  
فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ حُمَاةً فِي الْعُدَدِ      إِمَّا لِفُوزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبَدِ  
أَوْ مَيِّتَةٍ تُورِثُكُمْ عِزَّ الْأَبَدِ      فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغَدِ

فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" ثم حمل الثالث وهو يقول:

وَاللَّهِ لَا نَعِصِي الْعَجُوزَ حَرْفًا      قَدْ أَمَرْتَنَا حَدِيبًا وَعَظْفَا  
نُصْحًا وَبِرًّا صَادِقًا وَلَطْفًا      فَبَادِرُوا الْحَرْبَ الضَّرُوسَ زَحْفَا  
حَتَّى تَلْقُوا آلَ كِسْرَى لَفًا      أَوْ تَكْشِفُوهُمْ عَنْ جِهَاكُمُ كَشْفَا  
إِنَّا نَرَى التَّقْصِيرَ مِنْكُمْ ضَعْفًا      وَالْقَتْلَ فِيكُمْ نَجْدَةً وَزَلْفَا

فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" ثم حمل الرابع وهو يقول:

لَسْتُ لِحَنْتَاءٍ وَلَا لِلْأَخْضَرَمِ      وَلَا لِعَمْرٍو ذِي السَّنَاءِ الْأَقْدَمِ  
إِنْ لَمْ أَرِدْ فِي الْجَيْشِ جَيْشَ الْأَعْجَمِ      مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ خِضْمٌ خَضْرَمِ

(١) شعر الفتح الإسلامية: ٤٠ - ٤١ .

(٢) الاستيعاب: ٤/١٨٢٨ - ١٨٢٩ ، المنظم: ٣/١٠٢٣ .

## إِمَّا لِقَوْزٍ عَاجِلٍ وَمَغْنَمٍ أَوْ لَوْفَاةٍ فِي السَّبِيلِ الْأَكْرَمِ

فقاتل حتى استشهد رضي عنه وعن اخوته ، فبلغها الخبر فقالت: ( الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ) (١).

وهذا مجاهد مقدم آخر وقد كان ضريراً لكنه لم يجزع من ذلك فكان من أوائل المجاهدين وقد حظي بتكريم النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مرة ، فاستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة مرة في غزواته إنه عبد الله بن أم مكتوم (٢) ، فكان هذا الصحابي الجليل معروفاً بشجاعته وإقدامه فهو من الذين عشقوا الشهادة وملوا طول الحياة الفانية ، واستبد به شوق الحياة الخالدة لكن لم تنهياً له الفرصة السانحة (٣) ، فهو اليوم من جنود سعد بن أبي وقاص وهو يسعى جاهداً لتحقيق أمنيته فقال لأصحابه المجاهدين: ( ادفعوا إليّ اللواء ، فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ ، وأقيموني بين الصفيين ) (٤) ، فأنبت لهم شجاعته وحبه وحرصه للشهادة فظل يتقدم الصفوف حاملاً راية المسلمين ، ومن المؤكد إن الأعداء يستهدفون حامل الراية لما لها من أهمية في حسم المعارك إذ بانكاسها تعني الهزيمة ، وإنما اختارها ابن أم مكتوم لكي يكون مستهدفاً من قبل الأعداء وبالتالي ينال الشهادة وفعلاً فقد رزقه الله تعالى إياها فكان نموذجاً يتلألاً في سماء شهداء المسلمين (٥).

لقد جسّد لنا هؤلاء الشهداء في قتالهم الأعداء حتى الشهادة أثار العقيدة في نفوس المؤمنين الذين دفعهم إلى مجادلة الفرس وقاتل المشركين من المجوس وهم يجودون بالنفوس بقدرة لا تقاوم ومقاومة لا تقهر (٦) ، وحرصهم على ( ضرورة الانطلاق إلى الناس كافة ، ليتسنى لهم أن يخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان

(١) الاستيعاب ١٨٢٨/٤-١٨٢٩ ، المنتظم ١٠٢٣/٣ .

(٢) هو عمرو بن قيس بن رائدة بن الأصم ، والأصم هو جندب بن هرم بن ربيعة بن حجر بن عبد معيص بن لؤي القرشي العامري المشهور بابن أم مكتوم المؤذن وهم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عكفة بن عامر بن مخزوم . يُنظر:

الاستيعاب: ١١٩٨/٣ ، والإصابة: ٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) يُنظر: فتاوى في تاريخ الإسلام: ١٢٧ ، احمد الشرماسي .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) يُنظر: شعر العقيدة: ١٧٠ .

(٦) يُنظر: شعر الحرب حتى قاه / ١٣٠ .

إلى عدل الإسلام) <sup>(١)</sup> ، بهذا الحرص على ضرورة نشر الدعوة واصلوا مسيرتهم الجهادية لقتال الفرس الطامعين وتحرير الأرض العربية لا ( لمجرد إرضاء شهوة الغزو كما كان يفعل اليونان والرومان أو الاستعمار والذهب كما فعل الرومان وحلفاؤهم وورثتهم ، بل قامت معظم الفتوحات العربية على أساس الإصلاح وحب الخير العلم ) <sup>(٢)</sup> ، فهم ليسوا قتلّة ولا سافكي دم أحد بغير حق ، بل إنَّ البلاد التي يفتحونها وقبيل غزوها يدعون أهلها إلى الإسلام وشهادة الحق ، وتوضح لنا هذه الحقيقة في وصية أمراء المسلمين لقادة جيوشهم السائرة نحو تحرير البلاد ، فهذا عمرو بن العاص قائد جيوش المسلمين في فتوح الشام ، فيعد أنَّ جيز الجيوش وبلغ عدده عشرة آلاف فارس ، قال لهم: ( يا معاشر الأمراء أصحاب الرايات والسادات الأخيار ، إنَّ خالداً أمير عليكم فاسمعوا له وأطيعوا ، وكونوا كلمة واحدة ، ... ، ولا تقاتلوا قوماً حتى تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله وهو خير الحاكمين ) <sup>(٣)</sup> ، فهم لأجل ذلك يُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، فإذا ما حانت ساعة الإقدام ، حملوا الرايات وقادوا الجيوش وتقدموا نحو هدفهم وغايتهم العظمى ، فاستدعى عمرو بن العاص الفضل بن <sup>(٤)</sup> العباس وأمره على خصمائه فارس من أصحاب رسول الله ﷺ فتسلم بيده وتوجه نحو الأعداء وهو يردد <sup>(٥)</sup>:

إِنِّي أَنَا الْفَضْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ  
مَعِيَ حَسَامٌ قَاطِعٌ لِلرَّاسِ  
أَفْنِي بِهِ الْأَعْدَاءَ بِإِلَاءِ الْبَاسِ  
وَفَارِسٌ مُنَازِلٌ حَسَوَّاسِ  
وَفَالِقُ الْهَامَاتِ وَالْأَضْرَاسِ  
وَمَا عَلَيَّ فِيهِمْ مِنْ بَاسِ

(١) شعر الفتوح الإسلامية: ٤٢ .

(٢) الشهاب الراصد: ١٦٣ محمد لطفي جمعة .

(٣) فتوح الشام: ٢٢٤/٢ .

(٤) هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، غزا مع رسول الله ﷺ حنباً وشهد معه حجة الوداع ، قبل استشهاده في يوم أحد في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وقيل قُتل يوم الرمك سنة خمس عشرة

في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ . يُنظر: الاستيعاب: ١٢٦٩/٣ - ١٢٧٠ ، والإصابة: ٢١٢/٥ .

(٥) فتوح الشام: ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ .

ثم استدعى زياد بن أبي سفيان <sup>(١)</sup> وسلّمه الراية ، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فارساً عظيماً وبطلاً

صنديداً فتسلم الراية وتوجه وهو ينشد <sup>(٢)</sup>:

أَنَا الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ يَوْمَ الْوَقَائِعِ  
وَرُمِي عَلَى الْأَعْدَاءِ مَا زَالَ طَائِلًا  
وَعَزَمِي فِي الْهَيْجَا مَا زَالَ مَاضِيًا  
أَصُولُ عَلَى الْأَعْدَاءِ صَوْلَةٌ قَادِرٍ  
أَنَا ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ نَسْلِ حَارِثٍ  
بِحَدِّ حَسَامٍ فِي الْجَمَاجِمِ قَاطِعِ  
إِذَا التَّحَمَّ الْأَعْدَاءُ لِلصِّدْقِ قَاطِعِ  
بِرَأْيِ سُدَيْدٍ لِلْمَحَاسِنِ جَامِعِ  
وَأَشْبَعَهُمْ ضَرْبًا بَعْضُ لَوَامِعِ  
تَوَتُّ الْعِدَا مِنِّي وَكُلُّ مَنْزَاعِ

ومن القادة الذين استدعاهم وسلّمه راية ، أبو دجانة الأنصاري ، فتسلم الراية

ومضى متوجها نحو اللقاء ، فقال <sup>(٣)</sup>:

أَسِيرُ بِاسْمِ الْوَاحِدِ الْمَثَانِ  
أَذِيقَهُمْ ضَرْبًا عَلَى الْأَبْدَانِ  
انصُرْ دِينَ مُصْطَفَى الْعَدْنَانِ  
جَهْرًا لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ  
بِكُلِّ هِنْدِي مُبِيدِ الْجُنَانِ  
صَلَّى عَلَيْهِ الْمَلِكُ الدِّيَّانِ

بل إن حبيبم للجهاد والإقدام نحو الأعداء كان يُسي أحدهم ما عاناه من أذى الأسر الذي لاقاه من الكافرين ، فعندما خلص ضرار بن الأزور من الأسر حمد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أزال همه وفرج كربته ، ورد له قوته ، وأقسم على الإقدام نحو الأعداء وقتالهم وتشريد جمعهم ، فركب جواده عرباناً وأخذ قناة كانت مطروحة ، وحمل على القوم ، وهو يردد <sup>(٤)</sup>:

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
فَقَدْ نِلْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ كُلِّ رَاحَةٍ  
مُفْرَجِ أَحْزَانِي وَهَمِّي وَكُرْبَتِي  
وَجَمَعَتْ شَمْلِي ثُمَّ أَبْرَأْتُ عِلَّتِي

(١) هو زياد بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قائد شجاع شارك في فتح الشام ، قابلي في هذه المعارك بلاء عظيماً  
فازال كذلك حتى استشهد . ينظر: فتح الشام: ٢٢٥/٢ - ٣٠٠ .

(٢) فتح الشام: ٢٢٥/٢ .

(٣) انصر نغمه: ٢٢٦/٢ .

(٤) انصر نغمه: ٢٣٢/٢ .

سَأْفِي كَلْبَ الرُّومِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ      وَذَلِكَ وَالرَّحْمَنُ أَكْبَرُ هِمَّتِي  
فِيَا وَيْلَ كَلْبِ الرُّومِ إِنْ ظَفَرَتْ يَدِي      بِهِ سَوْفَ أَضْلِيهِ الحُسَامُ بِنِقْمَتِي  
وَاتْرَكَهُمْ قَتْلَى جَمِيعاً عَلَى الثَّرَى      كَمَارِمَةَ فِي الأَرْضِ عَظَمَ ضَرْبَتِي

ولا تزال المعركة مستمرة والفرسان تتبارز فيما بينها ، وفرسان المسلمين يتقدمون الصفوف عازمين على النصر أو الشهادة لا شيء غيرهما ، وهذا ضرار بن الأزور أقبل يركض بجواده وبيده سيف صارم يفري به الأعداء ، فلما قرب من العدو انشد (١):

لَقَدْ مَلَكْتُ يَمِينِي سِنَانًا وَصَارِمًا      أَذِلُّ عِدَاةَ السُّوءِ إِنْ جِئْتُ قَادِحًا  
وَاتْرَكَهُمْ شِبْهَ الرِّخَامِ إِذَا مَشَى      عَلَيْهِ شُجَاعٌ لَا يَزَالُ مُصَادِمًا

وهم يقاثلون أعداء الإسلام لم ينسوا وصية أميرهم عمرو بن العاص في دعوتهم إلى الإيمان بـ ( لا اله إلا الله ، محمد رسول الله ) ، فهذا الفضل بن العباس يدعو الأعداء إلى أن يؤمنوا بالله تعالى رباً واحداً لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله أرسله الله تعالى هادياً للعالم ، فقال (٢):

أَقْرَبُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ      وَإِلَّا تَرَوْا أَمْرًا عَظِيمًا مَدَانِيًا  
أَقْرَبُوا بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ أَحْمَدًا      نِيًّا كَرِيمًا لِلخَلَائِقِ هَادِيًا

فتمكنوا من تحقيق النصر على الأعداء وحاصروه في مدينة البهنسا (٣) ، فنزل كل أمير من المسلمين بجماعته حتى تكاملوا ، وتأخر الأمير خالد بن الوليد وبقية الأمراء الذين معه ، ولما بات أصحاب رسول الله ﷺ قال لهم ضرار بن الأزور: أظنكم انتم المحاصرون وأعداؤكم في أكل وشرب فما هذا القعود ؟ فكان لمقال ضرار هذا أثر في نفوس الأمراء والجنود فتقدموا نحو أبواب المدينة ، وضرار فيمن تقدم نحوها يريد اقتحامها وإضرام النار فيها ، وقتل الأعداء المتحصنين فيها ، فأخذ ينشد (٤):

(١) فتوح الشام : ٢٤٤/٢ .

(٢) النصر نفسه : ٢٥٢/٢ .

(٣) البهنسا: مدينة من الصعيد الأدنى غربي النيل . ينظر: معجم البلدان : ٤٠٦/٢ .

(٤) فتوح الشام: ٢٩١/٢ .

سَأَضْرِبُ فِي الْعُلُوجِ بِكُلِّ عَضْبٍ      شَدِيدِ الْبَاسِ ذِي حَصِيٍّ صَقِيلِ  
وَأَضْرِمُ فِي عُلُوِّ الْبَابِ نَارًا      وَأُرْمِي الْقَوْمَ بِالْحَطْبِ الْجَلِيلِ  
سَأَقْتُلُ كُلَّ بَاغٍ كَانَ مِنْهُمْ      بِحِدِّ السَّيْفِ وَالْبَاعِ الطَّوِيلِ

فكان النصر حليف المسلمين في هذه المعركة ، فجاء خالد بن الوليد ومن معه من أمراء المسلمين إلى مكان المعركة فوجدوا الشهداء مطروحين ، وكان من بينهم القائد المقدم زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه وفيه عشرون طعنة بالرمح ، وأربعون ضربة سيف ، وإلى جانبه أخوه هبار وفي رأسه عشرون ضربة سيف وواحدة في فخذه قطعته (١) ، فبكى خالد عليهم ، واستذكر مواقف القائد زياد أيام كان يقود المجاهدين إلى ساحات الوغى وهو يزلزل أركان الأعداء ، فهو فارس مقدم على الأعداء في مكان ، فقال خالد (٢) :

لَقَدْ كَانَ فِي بَحْرِ الْمَعَامِ صَائِلًا      يَزَلْزَلُ أَرْكَانَ الْعِدَا وَيُضَعِّعُ (٣)  
وَقَدْ كَانَ مِقْدَامَ الْفَوَارِسِ كُلِّهَا      بِكُلِّ مَكَانٍ لِلْأَعْدَاءِ مَقْمِعُ

فدخل المسلمون المدينة من أبوابها ، فكان أول من دخل ضرار بن الأزور ، لكن فرحة الانتصار لم تنس ضراراً قسمة في جهاد الأعداء وقتل أبطالهم بالسيف ، فأشاد (٤) :

لَارْضِينَ الْمَيِّ فِي جِهَادِهِمْ      وَقَتْلَ أَبْطَالِهِمِ بِالسَّيْفِ وَالدَّرْعِ  
يَا وَيْلَ كَلْبِ الْعِدَا الْبَطْلُوسِ إِنْ وَقَعَتْ      عَيْنِي عَلَيْهِ لَأَرْدِيهِ إِلَى الْكَرْعِ  
عَيْبٌ عَلَيَّ إِذَا مَا التَّقِيَتْهُ هُنَا      وَافْلَقَ الرَّأْسَ مِنْهُ غَيْرَ مُرْتَدِعِ

إن إقدام هؤلاء المجاهدين الأبطال على التضحية والاستشهاد دليل على سلامة المنهج الذي سلكوه وصره (٥) ، فواصلوا المسيرة نحو سحق الجموع الكافرة ، ونشر الرسالة الخالدة ، فلم يتوقفوا لحظة عن أداء هذا الواجب لأنهم يدركون حجم المسؤولية

(١) نوح الشام : ٣٠٠/٢ .

(٢) صدر عنه .

(٣) الصعضة: الخسوع والتدلل . بنظر: اللسان : ٢٥٨٦/٤ (ضع) .

(٤) نوح الشام : ٣٠٢/٦ .

(٥) بنظر: شعر العنيدة : ١٧٤ .

الملقاءة على عاتقهم وهم يسجلون لهذا الدين أروع صور الفداء<sup>(١)</sup>، ففي معركة مرج رغبان حمل خالد بن الوليد على الأعداء، فأراد عياض بن غنم التقدم نحوهم لكي يقاتل الأعداء ويساند خالد وكان مع جيش عياض هذا غلام من أهل المدينة اسمه جميل<sup>(٢)</sup> بن سعد الداري، وكان أرمى خلق الله بالنبل، وكانت له أم عجوز فقال لها: يا أماه أريد أن أجاهد هذا اليوم في الله حق جهاده، فلعنني الحق بإخواني الذين قتلوا بين يدي رسول الله ﷺ فودعها وسار، فقالت وهي تشجعه على الإقدام: يا بنسي سر والله ينصرك ويؤيدك، فلما كان قتال يوم عين وردة<sup>(٣)</sup> تقدم وقتل ثلاثين بطريقاً، فجعل أحد قادة الأعداء يرمي بالمنجنيق، فقال الناس لجميل: أيها الغلام ابعده لئلا يصل إليك حجر المنجنيق فإننا نخاف عليك منه، فقال: يا قوم سمعت رسول الله ﷺ يقول في كتاب الله العزيز ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> فلا بد أن أقدم نحوهم، كيف لا يقدم وهو يريد الشهادة فهي لا تتال بالتردد والتراجع، بل تريد مجاهداً مقداماً نحو الأعداء، وكان سعد يرمي فلا يخطئ وهو يقول: وا أشواقاه إلى الشهادة وأن أصل إلى دار العلم والشهادة فسمع منادياً يقول: إن أردت ذلك فبادر إلى ذلك ولا تخف ولا تحاذر وأطلق عنان كليتك في ميدان طلبتك وإياك والتخلف عن بابنا فمن أردنا أردناه، ومن أحبنا أحببناه، فقال: ها أنا أتقدم وجناني في الحقيقة لا يتألم، قد بعت منك نفسي فأقبل شراها فعسى أن آتي الجنة وأراها، فقيل له: قد قبلناك فامرح وأطلق لسانك وافرح، فمن باع نفسه منا لم يكن بمغبون، واسمع ما سطرناه في الكتاب المكنون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرِّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فلما سمع ذلك اطمأن قلبه وزاد حبه للشهادة، فتقدم نحو الأعداء فتقاتل مع

(١) يُنظر: الشعر والفتوح الإسلامية: ١١ .

(٢) يُنظر: فتوح الشام: ١٤٦/٢ - ١٤٧ .

(٣) عين الورد: راس عين المدينة المشهورة بالخريرة . يُنظر: معجم البلدان: ٣٧١/٦ .

(٤) سورة النساء: الآية ٧٨ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ .

عدو له فضرب جميل ضربة بالنبل في صدره ومرت من ظهره ، فنظر جميل إلى الحجر وقد علم إنّه ميت ، فالتفت إلى ابن عم له (١) ، وأشد في هذه الأبيات (٢) :

أَيَا رَافِعًا أَلَا هَمَلْتُ رِسَالَتِي      تَخْبِيرُ أُنَى قَدْ لَقَيْتُ جِمَامِي  
وَإِنْ جَنَّتْ أُمِّي رَافِعًا وَعُشِيرَتِي      فَخَصُّهُمْ مِنِّي بِكُلِّ سَلَامٍ  
وَلَسْتُ أَبَالِي إِنْ قُتِلْتُ لِأَنِّي      أُرْجِي بِقَتْلِي فِي الْجِنَانِ مَقَامِي

فبلغ الخبر أمه ، فصبرت صبر الكرام وقالت: يا بني عشت سعيداً ، ومث شهيداً ، وملكت مسيل أبائك فرحمك الله وأنص غريتك ونفني بك يوم القيامة (٣) .

إنّ في إقدام شهداء هذا العصر الأبرار ، يتجلى لنا ( الإخلاص للعقيدة ، والاندفاع في طلب الشهادة من أجلها ، والصبر على مواصلة القتال ، ومقارعة الأعداء في سوح الطعان ، وعدم السامة من الحرب ) (٤) فأصبحوا قاندين على عدوهم ، فهزموا الجيوش ، ودكوا العروش ، عروش فارس والروم ، فأصبحت نسيا منسيا .

#### ٤. الكرم:

صورة من صور الخلق العربي الأصيل في مجتمع تتنافس فيه الأجواد فسي إكرام الضيف وتقديم يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين (٥) ، لأنهم وجدوا في الكرم (مصدر ثناء وبقاء وخلود ذكر إذا ما طوى الموت الكريم ) (٦) الذي لن يحمل معه شيئاً من ماله أو متاعه عندما يغادر الحياة ، بل ستبقى هذه الأموال ويفنى ذكره إن هو أبقاها بجواره ينظر إليها (٧) ، لكنها ستكون ذكره الخالد وعمره الثاني بين الناس إن هو أنفقها (٨) .

(١) بغير: فتوح الشام: ١٤٦/٢ - ١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٢ .

(٣) فتوح: ١٤٧/٢ لأن أعظم الكوفي.

(٤) غات من البطولة العربية في شعر الحرب في القرن الأول للهجرة: ١٦ ، غام حواد رضا .

(٥) بغير: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨ ، د. بشري الخطيب .

(٦) حاحس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: ٤٤١ ، د. عبد الرزاق حليفة الدليمي.

(٧) بغير: المصدر نفسه: ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٨) بغير: عيون الأخبار: ٢٠١/٣ - ٢٠٢ .

لذلك ( أحب العربي الكرم إلى حد العشق )<sup>(١)</sup>، فهذا حاتم الطائي كان جواداً ( يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حينما نزل عرف منزله )<sup>(٢)</sup>، فمَنْزِل الكريم (وسط الناس ويكون قبلة أنظار الضيوف ، لا بعيداً منعزلاً منفرداً بنفسه في الأماكن غير الأهله كما يفعل البخلاء من الناس )<sup>(٣)</sup> ، ( فالبخيل عندهم ينزل في بطون الأردية ويبعد عن الطريق مخافة الضيف )<sup>(٤)</sup> ، لهذا نجد طرفة بن العبد ينفي عن نفسه أن يكون ممن يستتر في التلاع حتى تواريه من الناس لكي لا يراه ابن السبيل والضيف ، بل يسكن الفضاء ويعطي من يستعطيه ، ويعين من يستعين به<sup>(٥)</sup> ، فقال<sup>(٦)</sup>:

وَلَسْتُ بِمِحْلَلِ التَّلَاعِ لِيَتَّسِعَ  
وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمَ أَرْفِدُ

وكان ( حاتم إذا سُئِلَ وهب ... ، وكان إذا أهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشراً من الإبل ، فأطعم الناس واجتمعوا إليه )<sup>(٧)</sup>، ولم يكن الكرم عند العرب على درجة واحدة ، بل على ثلاثة مراتب ( سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء وهو أشرف درجات الكرم وبه استحقوا ثناء الله ﷻ )<sup>(٨)</sup>، ولا بد للكريم أن يراعي في عطيته كرامة السائل وصيانتها من المذلة ، فقد يُعْطِي الرجل مالا كثيراً ولكن لا ينال الحمد على هذا العطاء ، وقد ينال الرجل الفقير الحمد بحسن معاملته مع السائل ، ( فما كل من أُعْطِيَ مالا أُعْطِيَ حمداً ، ولا كل عديم ذميمة )<sup>(٩)</sup>، وسئل أحدهم عن أجود الناس فقال: ( إِنَّهُ مَنْ جَادَ عَنْ قَلِيلَةٍ وَصَانَ وَجْهَهُ

(١) مدح الخلود في الشعر العربي: ٤٤١ .

(٢) الأعيان: ٣٦٦/١٧ .

(٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٦ .

(٤) الأشياء والنظائر للحالدين: ٢٩/٢ .

(٥) بصر: نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام دراسة وتحليل: ٢٦٩ ، د. بوري حمودي القيسي ، د. محمود عبد الله

احادير، د. مهجت عبد العصور الخديفي .

(٦) ديوانه: ٢٤ .

(٧) الأعيان: ٣٦٦/١٧ .

(٨) مائة الأرب في فنون الأدب: ٢٠٤/٣ .

(٩) عيون الأحبار: ٢٠٢/٣ .

السائل عن المذلة (١) ، وهذا ما تحلى به حاتم الطائي في عطائه للناس ، حيث يقول (٢) :

أُضَاجِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ      وَنَحْصِبُ عِنْدِي وَأَحْمَلُ جَدِيْبُ  
وَمَا الْخِصْبُ لِلضَّيَافِ أَنْ يُكْثِرَ الْقَرَى      وَلَكِنَّمَا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيْبُ

وقد اتبع الكرماء أساليب عدة لاستقبال الضيوف الطارقين ليلا كإيقاد النار على مرتفع أو إرغاء البعير أو وضع رقيب على مرتفع (٣) ، فالكرم عندهم قيمة أصيلة في نفوسهم توارثوها عن الآباء وبفضلها يتحدون حدود الزمن ، فهو الممكن الوحيد لخلود الذكر وحمد الناس في هذه الحياة (٤) ، فهذا معن بن أوس يجسد ذلك فقال (٥) :

أَبِي لَا يُطِيعُ الْعَادِلَاتِ وَلَا يَرَى      مِنْ الْمَوْتِ حِصْنَا لِلْبَخِيلِ مُشَيِّدَا  
فَلَا تَجْمَعِي بَنْدِي وَوَدِّي وَنُضْرِي      وَأَنْ تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانِكِ مَبْرَدَا  
سَأَوْثِرُ بِالْمَعْرُوفِ عِرْضِي مِنَ الْأَذَى      وَأَذْنُو مِنَ الْمُعْتَرِّ أَنْ يَنْبَعَّدَا

بل وصل الحد بإحدى العوائل العربية الأصيلة الكريمة أن يتطوع أحد أبنائها أن يكون طعاما للضيف الذي حل عليهم ليلا وهم ليس عندهم شيء يقوتهم وعندما هم الأب في ذبح ابنه دعا الله تعالى أن يرزقه لحما حلالا يُطعم به ضيفه فاستجاب الله تعالى دعاءه إذ مر من قرب بيته قطع من حمر الوحش في طريقه إلى مورد الماء ، فاستطاع أن يصطاد واحدة وأكرم منها ضيفه وأهله ، فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم (٦) . فالعربي الكريم حريص على إكرام ضيفه ، لان ضيفه هذا كفيل له بتخليد نكره الحسن وهو ينتقل من مكان إلى آخر ، ولم يتغير خلق الكرم عند العرب حتى بعد مجيء الإسلام ، بل إن الإسلام قد شجع على الكرم وثمنه

(١) العقد الفريد: ١/١٢٩ .

(٢) انصدر نفسه .

(٣) يُنظر: البحلاء : ٢٣٧ - ٢٤٤ للحاحظ ، وديوان المعاني: ١/٢٨٦-٢٩٠ لأبي حلال العسكري ، والحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٣١٤ - ٣١٨ ، للدكتور احمد محمد الخوي ، والرثاء في الشعر - تاعلمي وصدر الإسلام: ٦٧ .

(٤) يُنظر: هاجس الخلود في الشعر العربي: ٤٥٠ .

(٥) ديوانه: ٨٢ ، صنعه د. نوري حمودي القيسي ، ود. حاتم صالح الصامس .

(٦) يُنظر: ديوان الخطيب: ٢٣٧ - ٣٣٨ ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه .

ومن ذلك موقف سفانه بنت حاتم الطائي عندما كانت أسيرة مع سبايا قومها ، فلما مرَّ بهم رسول الله ﷺ قالت سفانه: ( يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تُخلى عني فلا تُشمت بي أحياء العرب ، فإنني بنت سيد قومي ، كان أبي يُفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويُفَرِّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويثشي السلام ، ولم يُردَّ طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم الطائي ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباهما كان يحبُّ مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق ) (١) . فالكرم عند العرب قبل الإسلام كان وسيلة الغاية منها كما رأينا تخليد الذكر الحسن للرجل الجواد بعد موته ولا شيء آخر غير ذلك ، وكان لهم ذلك فالكرماء معروفون بين الناس على مر العصور ، أمّا الكرم في الإسلام فأصبح وسيلة المؤمن لكي ينال بها رضا الله تعالى والفوز بجنّته فإله تعالى دعاهم إلى الإنفاق في سبيله تعالى فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٢) ووعدهم ﷻ أنه سيضاعف أموالهم التي سينفقونها في سبيله ، فقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) واخبرهم الله تعالى أن ما ينفقونه هو لانفسهم ، لان الله تعالى سيوفيههم أجورهم يوم القيامة كاملة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْتُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٤) وحذرهم الله تعالى من البخل بما عندهم من ماله تعالى ، لان ذلك شرٌّ لهم يوم أن يرث الله تعالى

(١) الأغاني: ١٧/٣٦٥ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤ . ويُنظر: المعنى نفسه في الآية ٢٦٧ ، وسورة إبراهيم: الآية ٣١ ، وسورة سبأ: الآية ٣١ ،

وسورة التناجين: الآية ١٦ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦١ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٢ .

السماوات والأرض قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> فسارع الصحابة الكرام إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى سرّاً وعلانية يبتغون فضل الله ومثلما جاهدوا بأنفسهم في سبيل الله تعالى فقد جاهدوا بأموالهم (يجهزون أنفسهم بما يحتاجون إليه من سلاح ودواب وأرزاق ، ويخلفون المجاهدين من إخوانهم بالخير في عوائلهم وذويهم ، وينفقون عليهم كما ينفقون على من يعولون من عوائلهم وذويهم )<sup>(٢)</sup> لذلك قدم رب العزة والجلال الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس لما له من أثر مهم في تجهيز الجيوش الإسلامية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومن وجود بنفسه لا يبخل بماله فشهداء صدر الإسلام كانوا سابقين إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى لأنّ هذا السخاء يقربهم إلى الله تعالى وإلى جنّته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله "السخي قريب من الله فريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل"<sup>(٤)</sup> وقد أدى الشعر دوره في تأكيد وإعلاء سجية الحرم التي اتصف بها الشهداء المسلمون الذين ما اكتفوا بإنفاقهم الأموال في سبيل الله تعالى فخرجوا يهودون بأنفسهم فاستحقوا بذلك أن يكونوا قُدوة الجود والكرم الخالص لله تعالى لا تشويهه شائبة فهذه هند بنت أثنّة ترثي زوجها عبيدة بن الحارث بأشعار أوحث فيها وفاء الزوجة لزوجها فقد خلّدت كرمه وجوده فهي خير من يثبت لنا ذلك لأنها أقرب الناس إليه وهي راعية في بيته تعد الطعام لضيوفه الغرباء في أصعب الظروف والأوقات فالتناس قد أصابهم القحط والجذب وهم يعانون

(١) سورة ال عمران: ١٨٠ ويُظر: المعنى نفسه في سورة النساء: ٣٧ ، وسورة يس: ٤٧ وسورة محمد صلى الله عليه وآله: ٣٧ - ٣٨ ، وسورة الحديد: ٢٣ - ٢٤ .

(٢) جيش الرسول: ٧٨ محمود شيت خطاب .

(٣) سورة التوبة: ٢٠ ويُظر: المعنى نفسه في سورة البقرة: ٢٦١ وسورة الحديد: ١٠ وسورة الصف: ١١ .

(٤) سنن الترمذي: ٣٤٢/٤ .

قسوة ليالي الشتاء الباردة فكانوا بأمس الحاجة إلى الراحة والدفاء والطعام<sup>(١)</sup> . فوجدوا ذلك في بيت عبيدة إذ اهتدوا بناره التي أوقدها بالحطب الجزل حتى تبقى مشتعلة إذ يهتدي بها طارق الليل البعيد، ولم ينس الأرامل والأيتام فقد شملهم بعطائه . فهو يرعاهم

ويقضي حوائجهم فقالت: (٢)

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُودَدًا      وَحِلْمًا أَصِيلًا وَأَقْرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ  
عَبِيدَةَ فَبِكَيْسِهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ      وَأَرْمَلَةً فَنَوِي لِأَشْعَثِ كَالْجَذْلِ  
وَبِكَيْهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَعْوَةٍ      إِذَا أَحْمَرَّ آفَاقَ السَّمَاءِ مِنَ الْخَلِّ  
وَبِكَيْهِ لِلْأَيْتَامِ وَالرِّيحُ زَفَزَفُ      وَتَشْيِبُ قَدْرَ طَالَمَا أَرْبَدَتْ تَغْلِي  
فَإِنْ تَصْبَحَ النَّارُانَ قَدَمَاتَ ضَوْوَهَا      فَقَدْ كَانَ يَذْكِيهِنَّ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ  
لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمَلْتَمَسِ الْقَرَى      وَمُسْتَبِحِ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رَسْلِ

( فالذي يقدم كرمه في مثل هذه الظروف القاسية ولكل هؤلاء الناس وهم في تلك

الحالة البائسة جواد إلى درجة الإيثار ) (٣) ، فيذا حمزة بن عبد المطلب عليه السلام نراه في ليالي الشتاء البارد يعقر الإبل للضيوف ، وهذه الإبل التي يقدمها للضيوف ليست هزيلة أو

سقيمة ، بل عظيمة السنم ، قوية ، هذا ما أثبتته كعب بن مالك في حق حمزة فقال (٤) :

قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ      حَيْثُ النَّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودَدُ  
وَالْعَاقِرُ الْكُومُ الْجِلَادُ إِذَا غَدَّتْ      رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ

إن إكرام الضيف جزء من عقيدة المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليكرم ضيفه " (٥) ، فحمزة يقدم الطعام في جفان كثيرة لضيوفه في وقست الجذب

والقحط ، فهذا حسان بن ثابت يبين ذلك فقال (٦) :

(١) بطر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦١ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٩

(٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٥ .

(٤) ديوانه: ١٦٠ .

(٥) صحيح البخاري: ٥/٢٢٤٠ ، صحيح مسلم: ٦٨/١ .

(٦) ديوانه: ٣٢٦ .

## الماليء الشيزى إذا أعصفت غبراء في ذي السنة الماحل

وحمزة عندما يستجيب لدعوة الكرم في مثل هذه الظروف الحرجة التي تتقدم فيها مظاهر الحياة الإنسانية الطبيعية فيأوي اليتيم الضائع والضيف الجائع ، والأرملة الوحيدة<sup>(١)</sup>. لا يمكن أن يُنسى جوده وكرمه ، فهو بحر في العطاء ، لذلك نجد حسان بن ثابت يقسم الله العظيم أنه لا ينسى سخاء حمزة وكرمه ورعايته ، فقال<sup>(٢)</sup>:

يَا حَمْرًا لَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا صُرُّ اللَّفَاحِ  
لِنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْيَافٍ وَأَرْمَلَةٍ تَلَامِيحِ  
يَعْلُوا الْقَمَاقِمَ جَهْرَةً سَبَطَ الْيَدِينَ أَعْرَى وَأَضْحِ  
لَا طَائِشَ رُعَيْشٍ وَلَا ذُو عِلَّةٍ بِإِحْمَلِ آنِحِ  
بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِيبُ جَارًا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحُ  
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدِيهِ لَهُ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِحِ

واستشهد مع حمزة في معركة أحد شباب من المسلمين كرماء أجواد ، يشترتون رضا الله تعالى بأموالهم التي ينفقونها في سبيله تعالى ، قال حسان مجسداً ذلك<sup>(٣)</sup>:

أَوْدَى شَبَابٌ أَوْلِيَّ الْحَفَائِظِ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ  
الْمُطْعَمُونَ إِذَا الْمَشَايِ مَا يَصْفَقُنَّ نَاضِحِ  
وَسَمٌّ ، بَطَارِقَةٌ ، غَطَارِقَةٌ ، خَضَارِمَةٌ مَسَامِحِ  
الْمَشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ إِنْ الْحَمْدُ رَابِحِ

ومن هؤلاء الشباب الكرماء ، شماس بن عثمان ، فهذه زوجته نعم تذكر لنا كرمه

وسخاءه فهو يطعم الناس ويكسوهم ، فقالت<sup>(٤)</sup>:  
أَقُولُ لِمَا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا أَوْدَى الْجَوَادِ وَأَوْدَى الْمُطْعِمِ الْكَاسِي

(١) بظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٢ .

(٢) ديوانه: ٤٥٠ - ٤٥٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٥١ -

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٣ .

ومثلما عُرِفَ أمراء رسول الله ﷺ بشجاعتهم وإقدامهم في ساحات ضد الأعداء الكافرين ، عُرِفُوا وفضلوا في حياتهم الاجتماعية ، فهم كرماء في ساعة الحاجة ، ومن هؤلاء الأمراء ، قادة رسول الله ﷺ إلى جيش مؤتة ، فهذا كعب بن مالك لفا فضل هؤلاء القادة وكرامتهم ، فهم من نسب أصيل ، وعطاؤهم واسع كثير في أيام القحط الشديد ، فقال (١) :

فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَكْرُمًا      وَتَعَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ  
بِضِّ الْوُجُوهِ تَرَى بَطُونَ أَكْفُهُمْ      تَنْدَى إِذَا عَتَدَرَ الزَّمَانُ الْمُجْهَلُ

وكان جعفر بن أبي طالب ؓ القائد الثاني لهذا الجيش ، فكان لاستشهاده أثر في نفس حسان ، إذ أشاد بمنزلته وأدمالة نسبه وجوده وكرمه ، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخو الإمام علي ؓ وهو خير الناس واعزها ، لا يدعي ولا ينتحل الكنب ، بل هو صادق كريم ، يدها تشعان جوداً وعطاءً ، فهو أكثر الناس أفضالاً وإحساناً ، وهو هادي البشرية إلى الخير بعد النبي ﷺ (٢) ، فقال حسان (٣) :

بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرَ      خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلِّهَا  
رِزْءًا وَأَكْرَمِيهَا جَمِيعًا مَحْتَدًا      وَأَعَزَّهَا مَظْلَمًا ، وَأَذَلَّهَا  
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحَلِّ      كَذِبًا ، وَأَغْمَرَهَا بَبْدًا وَأَقْلَهَا  
فُحْشًا ، وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا تَجُنَّتْ      فَضْلًا وَأَبْدَلَهَا نَدَى وَأَدَهَا  
عَاطِفًا ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ لَا شِبْهَهُ      بِشَرِّ يَعْدُ مِنَ الْبَرِيَّةِ جَلِّهَا

إنَّ استشهاده الكريم له أثره على من كان يرعاهم بكرمه وجوده ، وسيقتده ضيوفه الذين كانوا يجدون في بيته أصول الضيافة ، فأبو خراش الهذلي يقول إن ضيوفه قد أصابهم الضعف والهزال عندما فقدوا صاحب الجود والكرم ، وراعي المحتاجين الذي قتله جميل بن معمر ، وهذا الكريم ليس غريباً على أبي خراش الهذلي ، فهو ابن عمه

(١) ديوانه: ٢٠٦ .

(٢) بنظر: شرح ديوان حسان: ٣٩٣ .

(٣) ديوانه: ٣٢٣ .

(زهير بن العجوة الهذلي) ، فهو يدرك كرمه ومقدار سخائه ، فيقول: تراه في فصل الشتاء وعند هبوب رياح الشمال الباردة ، يأتيه السائل يستعطيه ، فإذا لم يجد ما يعطيه إياه ، نزع أزاره الذي عليه وأعطاه إياه ، وتحمل هو شدة برودة هذه الرياح أما منزلته ، فيقول: إنه مأوى الغريب الجائع ، وإليه يهتدي الفقراء المساكين الذين آذاهم برد الشتاء ، فما عليهم من ثياب بالية ممزقة لا تقيهم هذا البرد ، لذلك خرجوا ليلاً يبحثون عن ملجأ يأوون إليه ، فاهتدوا إلى بيته بفضل نباح كلابه التي جعل منها دليلاً يهتدي به السائل والضيف (١) فقال (٢):

فَجَعُ أَضْيَافِي جَمِيلٌ بِنُ مَغْمَرٍ      بِدِي فُجْرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ  
تَكَادُ يَسْدَاهُ تَسْلِيمَانُ رِدَاءَهُ      مِنْ الْجُودِ لَمَّا اسْتَقْبَلْتَهُ السَّمَائِلُ  
إِلَى بَيْتِهِ يَا رِي الْغَرِيبِ إِذَا شَتَا      وَمَهْتَلِكُ بَابِي الدَّرِيسِينَ عَائِلُ (٣)  
تَرُوحُ مَقْرُورًا وَرَاحَتَ عَشِيَّةً      لَهَا حَدَبٌ يَجْتُهُ فَيَوَائِلُ

إن حرص شعراء المسلمين على تأكيد وترسيخ كرم الشهداء ، جعلهم ينتهجون كل وسيلة من شأنها إثبات هذه الصفة لهم ، فالدعا بالسقيا لقبر الشهداء إشارة إلى معنى الكرم في ذات الشهداء ، الذين كانوا يغيثون المحتاجين في حياتهم بعطاياهم وكرمهم ، والرائي عندما يعمم الغيث على كل الأراضي فهو يؤكد بصورة غير مباشرة شمول كرم الشهداء لكل الناس المحتاجين (٤) ، وهذا واضح في رثاء ابن الغريزة (٥) النهشلي لشهداء

(١) بظر: شرح أشعار اهدنين: ١٢٢١/٣ .

(٢) ديوان الهدلين : ٢٣ / ١٤٨-١٤٩ .

(٣) الدريسان: الثومان الخنقان بظر اللسان ١٣٥٩/٢ (درس).

(٤) بظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٩٦ - ١٩٧ .

(٥) هو كثير بن الغريزة أحد بني نهمشل ، والغريزة أمه ، وهو محترم أمرك الجاهلية والإسلام وقال الشعر فيهما . بظنر: الأعمى: ٢٧٩/١١ .

المسلمين الذين استشهدوا في غزوة الطالقان <sup>(١)</sup> وجوزجان بقيادة الأقرع بن حابس <sup>(٢)</sup> الذي أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ابن الغريزة قد شهد تلك الواقعة ، فقال <sup>(٣)</sup> :

سَقَى مَزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ      مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزْجَانِ  
إِلَى الْقَضْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوطِ      أَبَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ <sup>(٤)</sup>

وهذا الققعاع بن عمرو التميمي الفارس الشاعر يؤكد لنا كرم صديقه العزيز خالد بن معمر التميمي الذي استشهد في معركة نهاوند ، بالطريقة نفسها التي أكد فيها ابن الغريزة لشهداء المسلمين ، فيدعو الله تعالى أن يسقى قبر خالد إذ ارتحل الأقوام وهو ثاوٍ في قبره ، بل إن حبه الشديد لخالد جعله يؤكد في دعائه أن يرسل الله تعالى الغيوم المدجنات بالمطر فتسقي الأرض التي حل فيها قبر خالد وهو بهذا يشير بطريقة غير مباشرة إلى كرمه <sup>(٥)</sup> ، فقال <sup>(٦)</sup> :

سَقَى اللَّهُ يَا خَوْصَاءَ قَبْرِ ابْنِ يَعْمُرِ      إِذَا ارْتَحَلَ السُّفَارِ لَمْ يَتَرَحَّلِ  
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ خَالِدِ      ذَهَابَ غَوَادِ مُدْجِنَاتٍ تُجَلْجِلِ

إن ما ذكرناه من أشعار أكدت ورسخت كرم الشهداء رضي الله عنهم الذين أنفقوا في أيام سلمهم أموالهم وما يملكون في سبيل الله تعالى ، وفي ساحة الحرب جادوا بأرواحهم لله تعالى ، وكان هؤلاء الشهداء جنوداً وأمراء جيوش ، وكرم كل واحد منهم لا يكون ولن يكون مثل كرم خلفاء المسلمين ، الذين شمل كرمهم القريب والبعيد ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، ومن يكون هكذا كرمه وينقل إلى الرفيق الأعلى شهيداً ، فإنه ميسر فرغاً

(١) الطالقان: بلدتان أحدهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينهما وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين واهر . والجوزجان كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ . ينظر: معجم البلدان: ٢٣٩/٦ و ٩٠/٣ .

(٢) هو الأقرع بن حابس بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المصاشعي الدارمي . ينظر الاستيعاب: ١٠٣/١ ، وأسد الغابة: ١٢٨/١ - ١٣٠ ، والإصابة: ٥٨/١ .

(٣) الأعرابي: ٢٧٩/١١ - ٢٨٠ .

(٤) حوط: من قرى بلخ . ينظر: معجم البلدان: ٢٦١/٣ .

(٥) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٩٦ .

(٦) شعراء إسلاميون: ٤٦ .

واسعاً ، فسوف يبكيه اليتامى والفقراء ، والأرامل والمساكين ، وعامة المسلمين لأنهم أدركوا أن ما كان يصلهم من كرم وعطاء سوف لن يصل إليهم بعد ذهابه عنهم . ومن هؤلاء الخلفاء الكرماء الشهداء الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففي عهده اتسعت رقعة اندولة الإسلامية ، فدخل الإسلام أعداد كثيرة من الناس ، فكثرت الرعية وكثرت حقوقها ومطالبها ، لكن ذلك لم يثن من عزيمة الفاروق على أداء حقوق الرعية فرداً فرداً ، فكان يقضي حوائجهم وهو يتجول بين منازلهم ، وهذا ليس غريباً على رجل قد انفق قبل أن يكون خليفة ( نصف ماله في سبيل الله ) <sup>(١)</sup> ومن كرمه أنه كان يامر عماله على الولايات الإسلامية أن يكونوا كرماء مع ذوي الحاجات ، فإن غلقوا أبوابهم بوجوه هؤلاء حلت عليهم عقوبته <sup>(٢)</sup>، فهو كريم وحريص على أن يتصف عماله بالكرم ، فهذا حسان بن ثابت يؤدي دوره تجاه خليفة المسلمين فيؤكد كرمه وسرعته إلى فعل الخيرات ، فهو لا يقضب بوجوه سائليه ، بل يفرح بسؤالهم له ، فهو صادق ، يصدق فعله قوله ، مطيع لأمر الله تعالى وعارفاً لحدوده ، فهو عادل في كرمه وعطائه ، فالقريب والبعيد عنده سواء ، قال حسان <sup>(٣)</sup>:

مَتَى مَا يَقُلْ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فَعَلَّهُ      سُرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ قَطُوبٍ  
مُطِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٌ      بَعِيدٌ الْأَنَامِ عِنْدَهُ لِقَرِيبٍ <sup>(٤)</sup>

أما الشماخ بن ضرار فيدعو الله عز وجل أن يجزي عمر خيراً وأن يبارك أديمه الممرق لما قام به من أعمال جليلة كثيرة خدم بها رعيته وأكرمهم وأعطاهم ، فيقول مؤكداً ذللك الكرم إن من أراد أن يبلغ ذلك أو يرتقي إلي غايته فإنه سيظل مسبوقة حتى لو ركب جناحي نعامه ، فهو إمام عادل قضى أموراً وأحكمها بجميل رأيه ، وترك وراءها دواهي لا تزال في أكمائها لم تكشف <sup>(٥)</sup> ،

(١) يُصَرِّحُ: الرسول لقائله: ٣٢٢ ، محمود تيت خطاب ، وجيش الرسول: ٧٩ .

(٢) يُنْطَرُ: تاريخ اخلفاء: ١٢٨ .

(٣) ديوانه: ٢٧٣ .

(٤) ورد هذا البيت مع أبيات أخرى مسنونة إلى عائكة بنت ريد . يُنْطَرُ: معجم ديوان أشعار النساء: ١١٦ .

(٥) يُنْطَرُ: الرثاء: ٥٨ ، د. شوقي صيف .

فقال (١):

جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ      يَسُدُّ اللهُ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَسْرُوقِ  
فَمَنْ يَسْعُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةً      لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقِ  
قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا      بَوَائِحَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ

ولم تنس عاتكة واجبها تجاه زوجها الفاروق لتخبرنا عن جوده وكرمه، فهي خير من يبين لنا ذلك، لأنها شريكة حياته ورفيقة مسيرته، فمن بيت زوجها يخرج الجود والكرم للسائل والمحتاج، فتقول: إنه كان عصمة الناس من الانحراف في كسب المال لأنه قام بحقوقهم واجزل لهم العطاء، فأغناهم عمًا في أيدي الناس، فكان خير معين للمسلمين على مصائب الدهر، يُغيث المحتاج والمحروم والمكروب، فتطلب من عينيها أن تجود على هذا الإمام العادل الجواد، فقالت (٢):

عَيْنُ جُودِي بَعْبْرَةٌ وَنَجِيبٌ      لَا تَمَلِّي عَلَيَّ الْأَمِينَ النَّجِيبِ  
عِصْمَةُ النَّاسِ وَالْمَعِينُ عَلَيَّ الدَّهْرُ      رَوَيْتَ الْمَتَابَ وَالْمَحْرُوبِ

إن عدل عمر مع رعيته وسعة عطائه وكرمه لهم جميعا تجاوز شهادة الأوس بذلك، فالجن أيضا شهدت وأدركت خير عمر على هذه الأمة، فعندما استشهد ﷺ بكبت عليه وأيقنت أن خير هذه الأمة قد أدبر وذهب مع ذهاب عمر .

لِيَبْكُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ مَنْ كَانَ بَاكِيًا      فَقَدْ أَوْشَكُوا هَلَكًا وَكُلَّ عَلَيَّ الْعَهْدِ  
وَأَدْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَدْبَرَ خَيْرُهَا      وَقَدْ مَلَهَا مَنْ كَانَ يُوْفِقُ بِالْوَعْدِ (٣)

إنها كرامة الله تعالى لعباده الصادقين ، الذين أطاعوه بما أمر ، وانتهوا عما نهى وحفظوا حدوده ، وعدلوا في خلقه ، ( فرحم الله عمر ﷺ فقد زها عصره بالأمن والعدل

(١) ديوانه: ٤٤٨ - ٤٤٩ . بُصر: الفتح: ٩٢/٢ ، والاصحاب: ١١٥٨/٣ - ١١٥٩ ، ومعرفة الصحابة: ٢٢٤/١ لأبي عبيد

الاصهاني ، وفيها ان هذه الأبيات ناحت الجرس لما على عمر ، وطققات محول الشعراء: ١٣٣/١ ، الجزء ١١ من صرار

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧ .

(٣) الفتح: ٩٢/٢ لابن أعين الكوفي .

والفتح والأدب) (١).

هكذا هو حال رجال الإسلام الذين تربوا في عهد رسول الله ﷺ مع الجود والعطاء فكانوا سباقين إلى الخيرات ، ينفقون كل ما عندهم في سبيل الله تعالى لأنه تعالى قد وعدهم بأنه سوف يضاعفه لهم يوم القيامة أجراً عظيماً ، لكنهم ما اكتفوا بإنفاق الأموال والمتاع ، بل جادوا بأقصى غاية الجود جادوا بأرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى الذي أعطاهم ثمنها جنات الخلد ذات النعيم المقيم .

### ٥. الحلم

الحلم في نظر العرب فضيلة تستحق الإنشادة والتقدير ، ولم يكن الحلما من الكثرة بمكان بحيث إن صفة للحلم لازمت بعضهم وغابت عن الكثير (٢) ، والرجل الحليم يكون ذا معرفة وفطنة بأساليب الحياة ، ويكون قادراً على مواجهة مشاكلها ، فمن ذلك ( ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال: جيء قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن أخ له كثيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من حديثه إنتفت إلى بعض بنيه فقال: قم إلى ابن عمك فأطلقه ، وإلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة ، فأنها غريبة لعلها أن تسلو عنه ) (٣) . فنحن نرى كيف استطاع هذا الرجل بفضل حلمه أن يحل هذا النزاع ويحقق النماء ، فلا عجب بعد ذلك أن يكون الحلم مضرب أمثال العرب فقالوا: ( الحلم مطية الجبول لاحتمال جهله وتركه الانتصاف منه ) (٤) . ولم تتغير صفة الحلم والتمسك بعد مجيء الإسلام بل حث على الاتصاف بيا والعمل بموجبيها ، ولأهمية هذه الصفة في خلق المسلم نجد أن الله تبارك وتعالى قد جعلها من أسمائه وصفاته الحسنى فقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٥) ، لذلك نجد هذه الصفة حاضرة في خلق شهداء صدر

(١) شعر المخضرمين و اثر الإسلام فيه: ٣٢٥ .

(٢) بظن: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٣٥١ .

(٣) ديوان المعاني: ١٣٥/١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣٣/١ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٥ .

الإسلام ومنهم عبدة بن الحارث ، إذ كان ذا حلم أصيل وعقل راجح ، فهذه هند بنت أئانة تبين ذلك فقالت (١) :

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُودِدًا      وَحِلْمًا أَصِيلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ

ولم تكن هذه الصفة غائبة عن حمزة بن عبد المطلب بل كان حليما عاقلا ، ليس بطائش رعش ولا ذي علة ، فهذا حسان بن ثابت يوثق ذلك فقال (٢) :

لَا طَائِشٌ رُعِشٌ وَلَا ذُو عِلَّةٍ بِالْحَمْلِ آئِحٌ

فكان لحلمه ورجاحة عقله أثر مهم في أن يحتل منزلة هامة بين المسلمين ، فقد أصبح حرزاً أو ملجأً لهم من كل أمر ينزل بهم ، هذا ما أكده حسان بن ثابت فيقول (٣) :

كُنَّا نَرَى حِمْزَةَ حِرْزًا لَنَا      مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَابِتًا نَازِلٍ

## ٦ . الصدق

الصدق سجية عظيمة بها صلاح الشعوب وسلامة أمنها ، فإذا ما اتصف أبناء مجتمع ما بهذه الصفة فإن روابطهم وعلاقاتهم الاجتماعية سوف تكون متلاحمة كأنها بنيان مرصوص لأنها قامت على الصدق ، فلولا هذه الصفة ( لانقطعت الروابط الإنسانية واعتراها الضعف وعدم الثقة وفقدت العقود والعهود قيمتها في التعامل الإنساني) (٤) ، ولأهميته كان وصية الرجال لأبنائهم وحفدتهم ، فيذا عامر بن الظرب يقول في وصيته : ( إني وجدت صدق الحديث طرفاً من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلا جاء على ظنه ) (٥) ، بل أصبح الصدق مضرب أمثالهم فقالوا : ( ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز من الصدق) (٦) ،

(١) معجم ديوان أشعار النساء / ١٦٦ .

(٢) ديوانه : ٤٥١ .

(٣) انصدر نفسه : ٣٢١ .

(٤) القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي في صدر الإسلام : ٢٩٦ . رسالة ماجستير - كلية الآداب بغداد - فاضل عواد - ١٩٨٢ .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٨/٣ .

(٦) المستطرف في كل فن مستظرف : ٢٥٤/٢ . محمد الاشبيهي ، تحقيق عبد الله انيس الطباع .

وقال بعض الحكماء: (الصدق أزين حلية) <sup>(١)</sup> . ومع بزوغ فجر الإسلام تبوأَت سجية الصدق مكانة مهمة بين القيم الأخرى لأنها (عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة إلا به) <sup>(٢)</sup> فذكرها المولى ﷺ في كتابه العظيم مادحا من اتصف بها فقال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال تعالى :

﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ <sup>(٤)</sup> وهذا الرسول الكريم ﷺ يحث الصحابة ومن جاء بعدهم على الصدق لأنه طريقهم الذي ينتهي بصاحبه إلى الجنة ، فقال "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" <sup>(٥)</sup> ، وأخبرنا المصطفى ﷺ إن الصدق ركن مهم من أركان إيمان المسلم فلا يكون مؤمنا حقا حتى يكون صادقا ، فقال عندما سئل : " المسلم يسرق ؟ قال : نعم ، قالوا : المسلم يزني ؟ قال : نعم ، قالوا : المسلم يكذب ؟ قال : لا " <sup>(٦)</sup> .

فكانت لهذه الآيات الكريمت والأحاديث النبوية الشريفة صداها وأثرها في نفوس أصحاب المصطفى ﷺ ، الذين تمسكوا بها وجعلوا منها عنوانا لهم يستدل عليهم بها ، فهذا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وفي عهده الله تعالى صادقا حين جاهد الأعداء وقاتلهم بسيفه المرهف حتى نال الشهادة بطعنة من حربة العبد وحشي ، هذا ما أوثقه كعب بن مالك فقال <sup>(٧)</sup> :

(١) هبة الأرب في فنون الأدب: ٢٣٧/٣ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢٥٤/٢ .

(٣) سورة المائدة: الآية ١٢٢ .

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٥ .

(٥) صحيح مسلم: ٤٠١٢/٤ .

(٦) الموطأ: ٩٩٠/٣ .

(٧) ديوانه: ١٥٨ .

بِذِي هَبْمٍ صَارِمٍ سَلَجَجٍ (١)  
يُرْبِرُ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ  
تَلْهَبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوهَجِ

كَحَمْزَةٍ لِمَا وَفِي صَادِقًا  
فَلَأَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نُوفَلِ  
فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالشُّهَابِ

وقد استشهد مع حمزة في معركة أحد فتينان من المسلمين ، وهم أيضا قد صدقوا مع الله تعالى ، فصدق عنهم وجهادهم الأعداء قولهم ، فهذا حسان بن ثابت يوثق ذلك فقال (٢):

لَهْفِي لِثُبَّانٍ رُزِيئَانَهُمْ كَأَنَّهُمُ الْمَصَابِحُ  
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَسَادِحِ

ويتجلى لنا هذا الصدق أيضا في الوفد الذي بعثه الرسول الكريم محمد ﷺ إلى أهل نجد لكي يدعونهم إلى الإسلام ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو (٣) وفي الطريق غدر بهم أهل نجد وألبوا عليهم القبائل ، فاخذ أصحاب رسول الله سيوفهم وقاتلوا أعداءهم دون أن يُضعفهم عدد عدوهم ، فثبتوا وصدقوا في قتالهم الأعداء حتى استشهدوا جميعا إلا كعب بن زيد (٤) فأنهم تركوه . ولم يكن الشعر بعيدا عن هؤلاء الشهداء فهذا حسان بن ثابت ينقل الحالة التي كان عليها أمير الوفد المنذر بن عمرو ، فعنما خيروه بين الكفر والموت ما ساوم في دينه بل ثبت على عقيدته وقاتل الأعداء بصدق حتى نال الشهادة ، قال حسان (٥) :

صَدَقَ اللَّقَاءَ وَصِدْقُ ذَلِكَ أَوْفَقُ  
فَأَخْتَارَ فِي الرَّأْيِ الَّذِي هُوَ أَرْفَقُ

صَلَّى إِلَهَهُ عَلَى ابْنِ عَمْرٍو إِنَّهُ  
قَالُوا لَهُ أَمْرَيْنِ فَأَخْتَرَ فِيهِمَا

(١) سلجج: مرهف . ينظر: اللسان: ٢٠٦/٣ ( سلجج ) .

(٢) ديوانه : ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٣) هو منذر بن عمرو بن حبيش بن حارثة بن لؤذان .. بن ثعلبة بن احررح الأضاري الساعدي المعروف بالمف للسير، قتل يوم معونة شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٤٤٩/٤ ، وأسدعانة: ٢٦٩/٥ - ٢٧٠ ، والإصابة: ١٣٩/٦ - ١٤٠ .

(٤) هو كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة ... لأضاري ، شهد بدرًا ونجا من يوم معونة وقتل يوم الخندق شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٣١٧/٣ .

(٥) ديوانه: ٤٩٧ .

ونقل لنا عبد الله بن رواحة مشهداً من صدق أولئك الصحابة ، فنافع بن بديل (١) كان من ضمن هذا الوفد فلم يجزع يومئذ ، بل صبر وصدق في قتاله الأعداء حتى نال الشهادة ، فقال عبد الله بن رواحة موثقاً ذلك الصدق (٢) :

رَجِمَ اللهُ نَافِعَ بْنَ بَدِيلٍ      رَحْمَةً الْمَبْتَغِي تَسَوَّابِ الْجِسْهَادِ  
صَابِرٌ صَادِقٌ وَإِيٌّ إِذَا مَا      أَكْثَرَ الْقَوْمِ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

ومن شهداء المسلمين الذين اتصفوا بهذه السجية سعد بن معاذ ، فهذا المجاهد قد صدق مع الله تعالى حين أصدر حكمه في بني قريظة ، فوافق حكمه حكم الله تعالى ، وعندما استشهد هنأه حسان بن ثابت بهذا الفوز ، فيؤ مصير الصادقين مع الله تعالى ، فنعم هذا المصير ، فقال (٣) :

فَبِعَمِّ مَصِيرِ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا      إِلَى اللهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

أما خلفاء المسلمين فهم أصدق الناس فيهم عرف الصدق ، فقد اتصفوا بهذا الخلق العظيم ، وأمروا رعيتهم الاتصاف به ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بعجوز تتبع اللبن ، فقال لها: يا عجوز لا تغشي المسلمين ولا تشوبي لبنك بالماء ، فقالت له: نعم يا أمير المؤمنين ، لكنها لم تصدق معه ، فلما علم بها الفاروق جاء إليها وقال لها: ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنك بالماء ؟ فقالت كاذبة: والله ما فعلت يا أمير المؤمنين ، عندها تكلمت البنت الصادقة من داخل الخباء فقالت: يا أمه ، أغشأ وحناً جمعت على نفسك ؟ فلما سمع الفاروق مقالتيها هذه أعجب بها وقال لأولاده: أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال ابنه عاصم: أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم فزوجها عبد العزيز بن مروان ، فأولدها عمر بن عبد العزيز (٤) ، فنحن نرى كيف كان الفاروق حريصاً على أن يقترب أحد أبنائه بهذه المرأة الصادقة التي خرج من نسلها رجل صادق يشار إليه بالبنان ، وهو عمر بن عبد العزيز الذي

(١) هو نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، كان هو وأبوه وأخوته من فضلاء الصحابة وحلتهم ، قتل يوم بدر معونة شهيداً .

بخر: الاستيعاب: ١٤١/٩/٤ ، وأسد الغابة: ٢٩٩/٥ ، والإصابة: ٢٤٤/٦ .

(٢) ديوانه: ٩٢ - ٩٣ .

(٣) ديوانه: ٤١٥ .

(٤) بخر: هامة الأرب في مور الأدب: ٢٣٨/٣ .

رعت في زمنه الشاة مع الذنب ، وعندما استشهد الفاروق رضي الله عنه تأثر المسلمون لفقده ، فأشادوا بأخلاقه الحميدة فكان الصدق من أهم هذه السجايا ، فهذه زوجة عاتكة بنت زيد تقول إنه إذا ما قال صدق القول فعله <sup>(١)</sup>:

مَتَى مَا يَقُولُ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فَعَلُهُ      سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ قَطُوبٍ

## ٧. الوفاء

من أخلاق العرب الفاضلة في مجتمع خلا من الضمانات المسجلة والوثائق المدونة ، فكان الضمان المسجل والوثيقة المدونة الكلمة ينطقها الرجل عهدا يلتزم به ، ويجب عليه أن يفيء به ، وإلاَّ عرض شرفه للتجريح <sup>(٢)</sup> ، ( فالوفاء من شميم النفوس الشريفة ، والأخلاق الكريمة ، والخلال الحميدة ، يعظم صاحبه في العيون ، وتصدق فيه خطرات الظنون ، ويقال : الوعد وجه ، والإنجاز محاسنه ، والوعد سحابة ، والإنجاز مطره ) <sup>(٣)</sup>.

وقد حث المولى صلى الله عليه وسلم في كتابه الكريم المسلمين على الاتصاف بهذا الخلق فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " آية المناق ثلاث: إذا حدثت كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " <sup>(٥)</sup> . فشهداء المسلمين يوم بدر الكبرى قد وفوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاهدوا معه الأعداء وهم قلة يومئذ ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه حتى نالوا الشهادة ، فهذا حسان بن ثابت يبين لنا هذا الوفاء فيقول <sup>(٦)</sup> :

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ الرَّسُولَ وَفَوْقَهُمْ      ظِلَالُ الْمَنَائِمِ وَالسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٦ .

(٢) بنظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٣٥٦ .

(٣) المنطرف في كل فن مستطرف: ٢٠٦/١ .

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٤ .

(٥) صحيح البخاري: ٢١/١ .

(٦) ديوانه: ٢٦٧ .

كذلك فقد اتصف ثاني قادة مؤتة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بهذه السجية النبيلة ، إذ وفى عهده الله تعالى حينما حمل راية المسلمين وقاتل بها الأعداء حتى نال الشهادة ، فلم

يكن هذا الوفاء بمنأى عن شاعر المسلمين حسان بن ثابت ، فقال <sup>(١)</sup>  
وَكُنَّا نَرَىٰ لِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ      وَقَاءً وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ

(١) ديوانه : ٩٨ .